كتاب اليوم
يصدر عن دار أخبار اليوم
الإسلام
فى خندق
د. مصطفى محمود

كتاب اليوم

يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

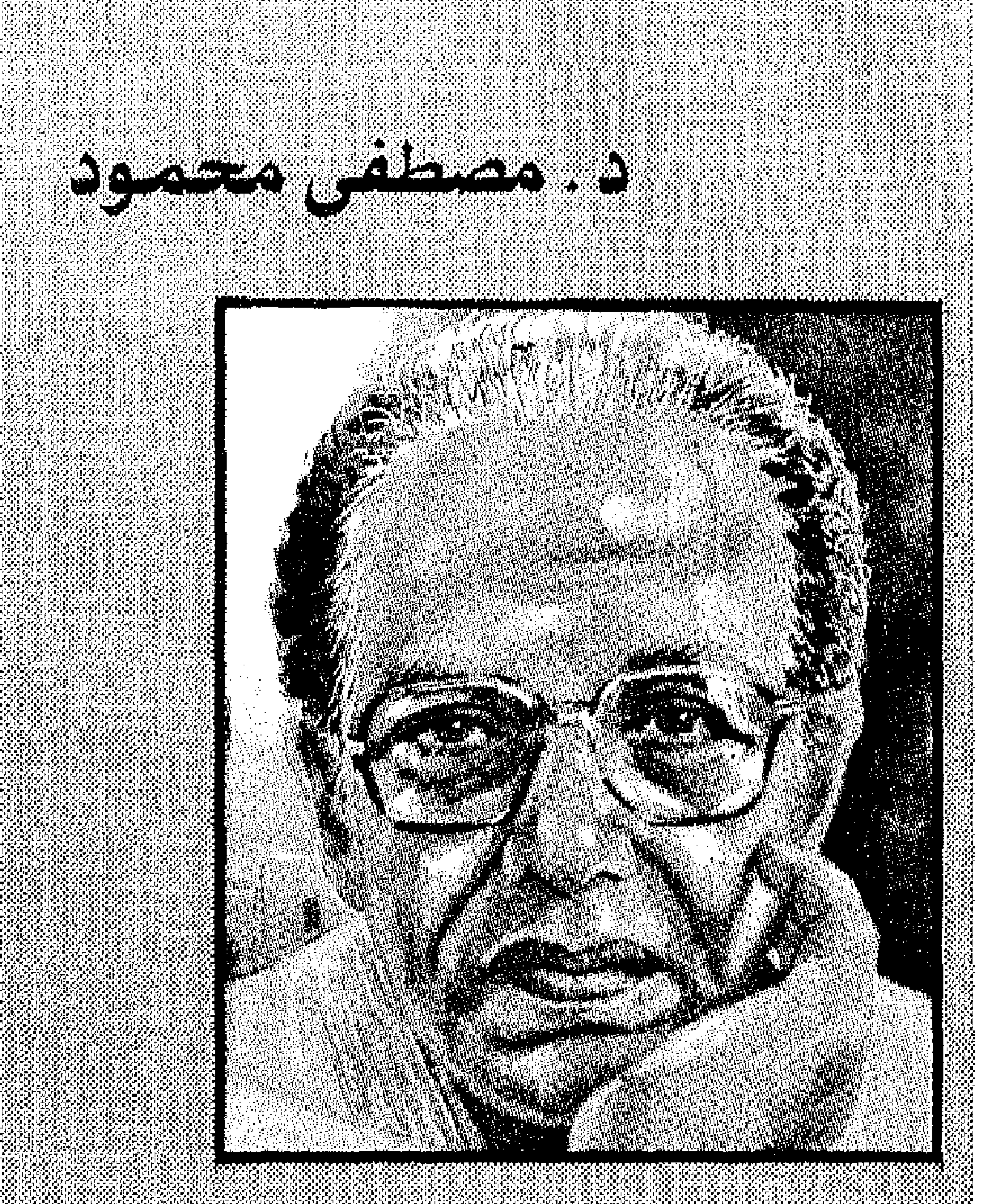
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

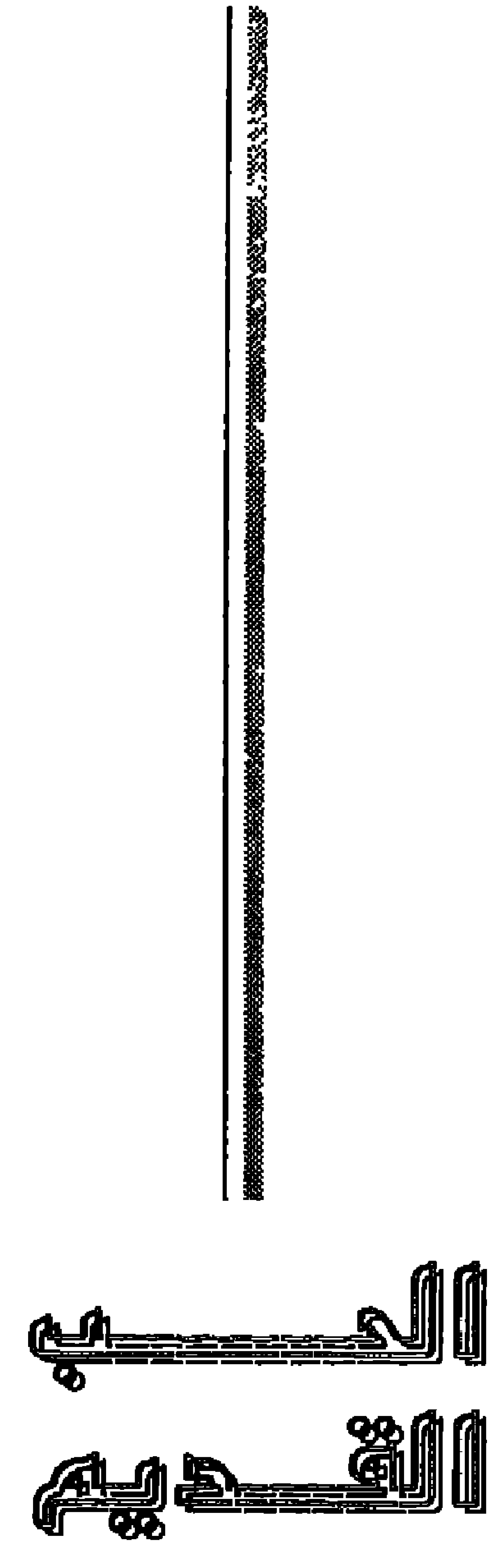
نبيل أباظة

□ فبراير ١٩٩٤ □

د. مصطفى محمود



الإسلام فى خندق


الحب
القديم

الناس يفهمون الدين على أنه مجموعـة الأوامر والنواهى ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها مـن شئون الدنيا .. أما الـدين فشىء آخر أعمق وأشمل وأبعد .

الدين فى حقيقته هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذى يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذى جئنا منه والعطش الروحى إلى النبع الـذى صدرنـا عنه والذى يمـلأ كل جـارحة من جـوارحنا شـوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشى الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هـذا الحنين إلا لحظـة يحيطنـا القبـح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب فى هذا العالم ، فنشعر أننا غرباء عنه واننا لسنا منه وأنما مجرد زوار وعـابرى طـريق ، ولحظتهـا نهفو إلى ذلك الـوطن الأصل الذى جئنـا منه ونـرفع رؤوسنا فى شـوق وتلقائيـة إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت ؟.

ولحظة نخطـىء ونتورط فى الظلم ونـنحدر الى دركـات الخسران فننكس الرؤوس فى نـدم وندرك أننا مـدانون ، مسئولـون .. فذلك هـو الدين ..ذلك الـرباط الخفى من الحنين لماض مجهـول .. وذلك الاحساس بـا لمسئوليـة وبأننا مدينون أمام ذات عليـا .. وذلك الاحساس العميق فى لحظات الوحدة والهجـر بأننا لسنـا وحدنـا وانما نحن فى معية غيبيـة وفى أنس خفى وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا وذاتا عليـا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينـا وعظيما سـوف يتـداركنا .. فـذلك هـو الـدين فى أصلـه وحقيقتـه ومـاتبقى بعد ذلك من أوامـر ونـواه وحرام وحـلال وأحكام وعبـادات هى تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فان كل العبادات والطاعات لن تصنع دينا ولن تصنع متدينا مسلماكان أو مسيحيا أو يهوديا ، وماكان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين ..على دين .. أى دين .. ولاكان سفاحوالصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصارى ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعا ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحى وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الآيات ..ما بلغوا من الدين شيئا .

وهل بلغ النبى يحيى(يوحنا المعمدان) عليه الصلاةوالسلام مابلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذى كان يفيض منه ، والذى قال فيه ربه : « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » (١٣ـ مريم) فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى ، ونبينا عليه الصلاة والسلام الذى كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذاجبل يحبنا ونحبه .. حتى الجماد كان موضع حب النبى وتوقيره . وهذا ابن عربى يقول : لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق ، وهذا ربنا يقول عن المؤمنين : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣ ـ الحجرات) فالقلوب هى دائما موضوع الامتحان وحب الله وحب ما خلق وماصنع من أرضين وسموات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويبتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الاخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات الى روحهاوماكانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها ؟ . بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر.. « أدع لنا ربك يبين لنا ماهى » .. أو لعلك تهزأ بنا .. هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقريع واللوم .

وللأسف الشديد التدين اليوم خرج من روح التدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعاة وإغراقهم فى القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثانوية مماألقى بأكثر المسلمين الى الاختلاف والجدل ، ومما خلق الذرائع لمحترف الارهاب ولهواة التعصب ومما أوجد هذا التدين السطحى المتهوس الأبله ، وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة الى روح الاسلام والى نبعه الشامل .. الى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبر معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .

والاسلام ليس ألغازا وليس لوغاريتمات ولا يحتاج منا الى كل تلك الفتاوى .

والنبى عليه الصلاة والسلام أجاب من سأله عن الاسلام فقال فى كلمات قليلة بليغة :

« قل لا اله إلا الله ثم استقم »

هكذا ببساطة .. كل المطلوب هو التوحيد والاستقامة على مكارم الأخلاق .

إنها الفطرة والبداهة التى نولد بها لا أكثر ، أن تحب أخاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صالح أم على غل وكراهية وحسد وتربص ؟.. وستعلم الى أى مدى أنت على دين الاسلام .

ماذا تخفى فى طيات ثيابك .. هل تخفى خنجرا أو مسدسا .. أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك؟

هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟!.

هل تنطق بالطيب من القول وبالنافع من الكلام أم تدعو الى الخراب والدمار والفتن ؟.

إن الدين لايحمل سيفا إلا للدفاع عن مظلوم ولايعرف العنف إلا اصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانة التى يقف فيها ذلك الداعية الذى يدعوك الى الاسلام.. وتعلم أين يقف.. مع الدين أم مع الاجرام .

إن الفطرة والبداهة دليلك.. ولست فى حاجة الى فقه أو فلسفة أو فتوى . قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلب القضية وروحها .. والجوهر الصافى لجميع الأديان وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامر والنواهى فهى لتنظيم شئون الدنيا لا غير.. وهى تابعة للإطار العام.. إشاعة السلام والعدل والحب بين الناس.. وسوف يتوقف عملها فى الآخرة .. حينما لايعود لأحد حكم أو سلطان .. « لمن الملكُ اليوم لله الواحد القهار » .

إنتهت وظيفة كل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن اصبح أمر ملك الملوك مباشرة والتصريف تصريفه والعدل عدله والبطش بطشه.. ولم يعد لأحد الحرية فى أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع أذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الاسلامى العظيم.. العز بن عبد السلام :

فى زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا الى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها .

ومن هنا أفتى بعدم تطبيق حد الخمر على عسكر التتار ، لأن سكرهم وغيبوبتهم سوف تكف شرهم عن الناس وفى ذلك فائدة وخير .. بينما إفاقتهم سوف تؤدى بهم الى معاودة الأذى والضرر وفى ذلك مزيد من المنكر .

لقد فهم ذلك الفقيه العظيم أن حكمة الشرائع هى إقامة المصالح فى الدنيا وأنها مرتبطة بالمنافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبى عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق فى سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب فى عام المجاعة .

ونفس هذا الكلام يقال للغوغائيين من الدعاة والسطحيين الذين

يطالبون بقطع الأيدى والرجم والجلد علاجا للفساد الموجود .. وهم لا يعلمون أن الفقه الاسلامى نفسه لا يوافقهم على هذا الفهم السطحى والغوغائى .. فالعصر باعترافهم عصر شيوع الفساد وشيوع البلوى وبالتالى يستوجب فقها آخر ملائما للظرف القائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذى يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهية التقليدية وسوف يعفى من القطع بينما النشال الذى يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفى ذلك ظلم فاحش وتشجيع للكل بأن يسرقوا وينهبوا بالوسائل الملتوية من عمولات ورشوة وإختلاس وتزييف وخلافه.. وفى ذلك حض على عموم المنكر.

وعلى باب أى محكمة يمكنك أن تشترى أربعة شهود زور لتقطع يد من تريد ، وترجم من تشاء ، ثم من يقطع يد من فى عالم كله من اللصوص والمرتشين..؟!!

ونفس الشىء يقال فى معاقبة الزانى بالرجم فى الوقت الذى تحض فيه الإذاعات والبث التلفزيونى الخارجى الهابط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلنى وتدفع بالشباب دفعا الى الفسق.. فالشباب مجنى عليه وليس جانيا واطلاق الحدود فى مثل هذه الحال من شيوع البلوى ظلم.. فضلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهية للرجم وهى ،، أربعة شهود يحلفون بأنهم شهدوا عمليات الإدخال.. فالعقوبة هنا غير واردة.. وهؤلاء الدعاة الغوغائيون يقولون افكا من القول وزورا ويباشرون فهما متحجرا ضيق الافق ، لايقول به أى فقيه مسلم مستنير .

وينسى هؤلاء عقلانية الإسلام ومرونته وتقديره للظروف.. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة عن سياقها ويغفلون روح القرآن فى مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الانجيل فى صريح آياته :

إن اعثرتك يدك فأقطعها وإن اعثرتك عينك فاقلعها .

وهو أمر بقطع اليد التى تسرق وفقء العين التى تزنى .. ومع ذلك لم

يقل أحد من المسيحية بهذا .. وإنما وضعوا الآية داخل مجموعة آيات الانجيل وسورة ، وقالوا بالروح العامة التى تشيع فى كتابهم .. وهى روح المحبة والرحمة والعفو والمغفرة .. واكتفوا بالعقوبات التعزيرية مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكون النظر الى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظروفها وفى اطار الرحمة التى أوجبها الله .. فهو سبحانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنا آلات تنفذ فى آلية بلا تدبر وبلا تفكير .

وأراد بروح النصوص أن تكون هى الحاكمة على حروفها .. وبدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنا أوله رحمة وآخره حمد وأوسطه محبة .. والحب هو روح الوجود وهو سر ديمومته .. وهو النفحة الربانية التى بدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى وبدون الحب فى قلبك لا يعود لوجودك معنى ولا لفضائلك معنى ولا لدينك معنى أى معنى مهما أطلت اللحى وبسملت وحوقلت وصمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيان أن المقصود بالحب هنا هو حب الحق وحب الخير وحب العدل وحب الجمال وحب المثل العليا وهى جميعها أسماء اللــه الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانه وحده الذى له المثل الاعلى فى السموات والارض .. وهو الحق وهو العدل الحكم وهو بديع السماوات والأرض . وكل جمال فى الكون يرتد الى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد الى كماله وهذا هو الحب القديم الذى فطرنا عليه منذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء الى الدنيا هاتفا بنا :

« ألست بربكم » .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب الى وجهه الكريم :

« بلى شهدنا » ..

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشوق النبيل هو الطاقة الدافعة وراء كل فن عظيم وكل إبداع رفيع ، وكل فكر ملهم ، وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولة .

وهذه النورانية فينا هي التي اقتضت سجود الملائكة وتسخير الكون لنا .. وهي التي جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

وبدون هذا الحب

في ساعات الخطر يتحد المختلفون ويلتقي أبناء العم وأبناء الخال وأبناء سابع جد وتذوب الأحقاد الصغيرة ويؤلف الخطر الداهم وشيجة توحد كل القلوب .

وهذا شأننا اليوم وقد رأينا ما يصنعه الحلفاء الأوروبيون والأمريكيون بمسلمي البوسنة المظلومين المحاصرين بالرصاص والقنابل والجوع والموت فلا تكون نجدتهم إلا بتكريس هذا الظلم وإضفاء الشرعية على هذا الحصار وإقرار الناهب على ما نهب والتسليم للمغتصب بما اغتصب ، ثم تحويل ما تبقى من أرض إلى معتقلات أبدية تعيش فيها البقايا المنهوبة والهياكل المغصوبة تتسول المعونات من جنود الأمم المتحدة وتأكل من فتات الأيدي مثل حيوانات الأقفاص .

وتلك هي القرارات الوضيعة التي وصل إليها السادة الأوروبيون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

أخيرا أفصح هؤلاء الناس عن عواطفهم الحقيقية ، اتفقوا في البداية على تكتيف أيدي الضحايا وحظروا عليهم أي سلاح يدافعون به عن أنفسهم .. وأخيرا قرروا سجنهم في جيوب ومعتقلات إلى الأبد يلقون إليهم بفتات الطعام وهذا عدلهم .. وهذا قانونهم .. وبئس ما صنعوا .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟

على ماء الوضوء يصل إلى الكوع أو يشمله .. وعلى الأيدي ترسل على الجانبين أثناء الصلاة أو تضم على الصدر .. وعلى نقاب أم حجاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصلاة أم أذانان .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونولي الفقيه أم السياسي .. ونضع أموالنا في البنك أو في دفاتر الادخار ؟ .

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدى التى تريد أن تلقى بكم فى جب وتهيل عليكم التراب .. ألا تسمعون كلام الله يدوى فى آذانكم .

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ ـ الأنبياء) .

ألا تسمعون وعيده وتهديده :

« وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٣٨ محمد) .

وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافنا .

وفيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب

وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم فى كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا نقابا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ماعدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال ؟وهل التصوير حرام أم حلال ؟. وهل الغناء حرام أم حلال ؟.

وقد غنى البنات والأولاد للنبى عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبى لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والرفيع من الفنون الذى تنشرح له الصدور ، وهناك الوضيع والهابط الذى تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .

وتستجد فى كل زمان أحوال وظروف .

وتطرأ ملابسات ومتغيرات ..

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله .

إنما هى تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء فى الناس فيشككون فى كل شىء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبثون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة لأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيما لأخيه .

وهى تجارة تروج مع التخلف وتزدهر فى الأزمنة الرديئة .

ونحن بلاشك فى أردأ الأزمان.

وإذ يوشك الظـلام أن يشتد ويمـلأ تجار السوء الأرصفـة ببضاعتهم الفاسدة ويتنـادى أبالسة الشقاق ليشتتـوا الناس شراذم وجذاذات .. بينما تزحف علينا العـداوات من كل جانب ونحن فى غفلة .. لا أملك إلا أن أصيح بـالكل أن تنبهـوا .. واستقيمـوا يرحمكم الله .. وسـدوا الفـرج .. وضمـوا الصفوف.. فليس أولى بالـوحدة منا نحن عباد الواحد .. فليس عنـدنا كثرة من الإلهة نختلف عليهـا ، وإنما هو واحـد ، ونبينا واحـد ، وقبلتنا واحـدة وصـلاتنـا واحدة .. ولا خـلاف بين سنـة وشيعـة فكلنـا بحب أهل البيت مشغوفون ، وبسيرتهم مغـرمون ، وسيدنا على هو سيـد شباب أهل الجنة وهو فى أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضاعتنا .. وإسلامنا ليس ضد النصارى بل هــو معهم ما تعاونوا وما تحابـوا .. والذين قتلوا مسلمى البوسنـة ليسوا بنصـارى بل هم وحوش لا ملـة لهم ولا دين .. ولو كـانوا نصارى لمنعهـم إنجيلهم الذى يقول أحبـوا أعداءكم .. واتبـاع عيسى بحق واتباع محمـد بحق هم على طريق واحد وهـو طريق مـوسى وطريق جميع الأنبيـاء ، فكلمة الله لجميع أنبيـائه واحدة ، ولكن صهـاينة اليهـود خانـوا توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمـود والبروتوكولات دستورهم .. وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم: اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخوا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنــه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسـهم .. فإن ما بأنفسنا الذى يـريد ربنا أن نغيره هو هذه الأنانيـة والعصبية والطائفية وعبـادة الرأى وعبـادة النفس وعبـادة الهوى وحب الـدنيا والانغـلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء لا ترى إلا لشبر واحد أمامها .

لم يطلب منـا ربنـا حيازة تكنـولـوجيـا الذرة والالكترونيـات والليـزر لينصرنا .. وإنما طلـب هذا الطلب الواحـد البسيط .. أن نغير ما بـأنفسنا .. وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيـا دون جرب ؟ وكيف ركعت على أقدامها دون أن تطلق عليهـا رصـاصـة .. وكيف انهزمـت من الـداخل .. من داخل

نفوسها فانهارت وعلى ظهرها من القنابل الهيدروجينية ما يكفى لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذلك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطغى .

وأتوجه بهذا النداء إلى ٤٧ دولة إسلامية فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضية وأغلبها يتسول طعامه ويقترض مصروف يومه ، وأقول لهم : منظركم عجيب وأنتم كالإبل الشاردة لاتجتمع على كلمة .. ألا تسمعون حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله ، وسدوا الفرج وضموا الصفوف.

إنما يريدها سنة حياة لا تعليمات لمدى خمس دقائق .

فصلاة المسلم هى مؤشر لحياته ، ولا صلاة لكم وأنتم ممسكون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعوا وتحابوا واتحدوا فقد تداعت عليكم الأمم تداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثاء السيل الذى انفرط وتفرق بددا .

فهلا اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان .. أليس فيكم رجل رشيد ؟

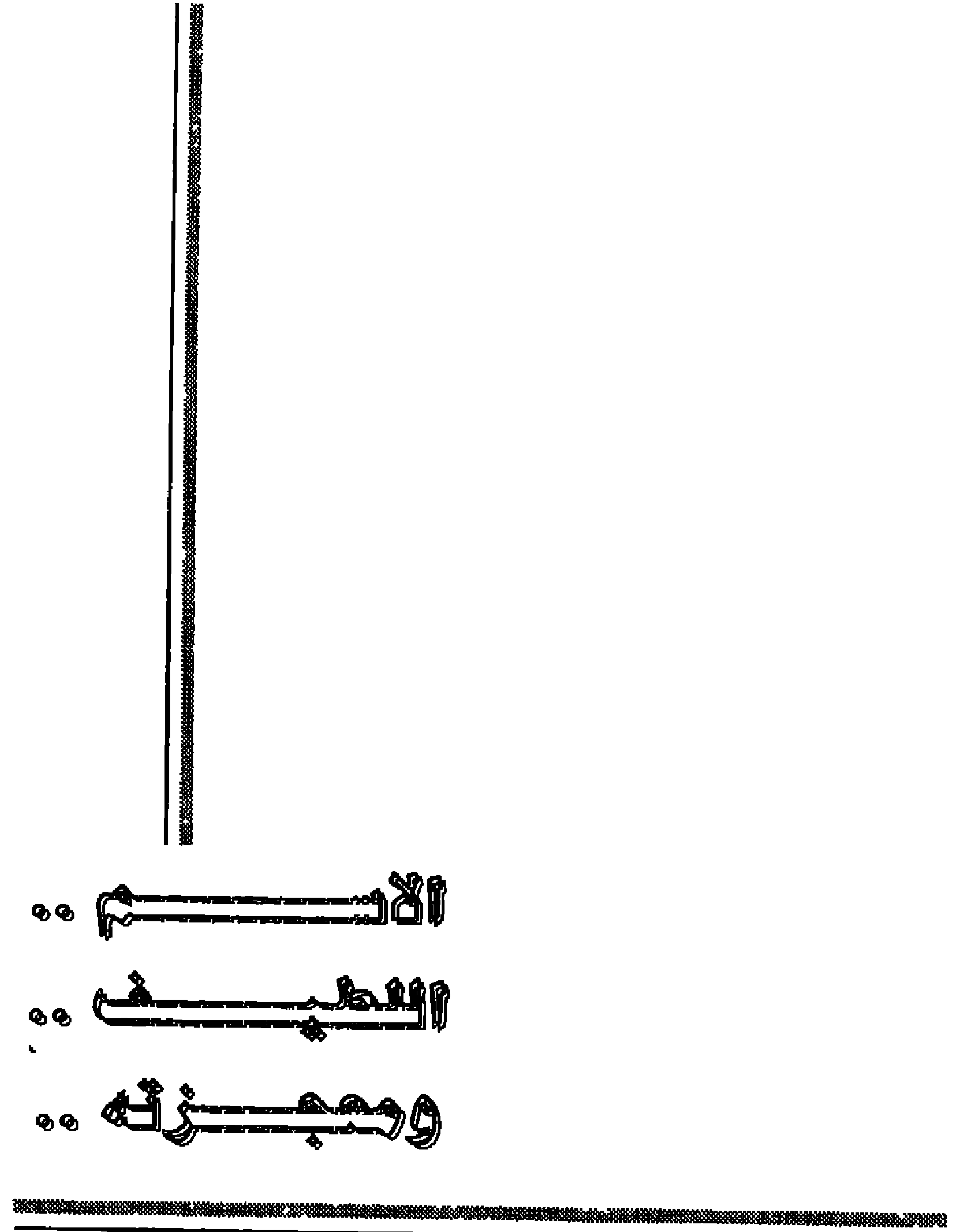
عجبت لكم .. أراكم فى الصلاة تتوجهون بالملايين إلى كعبة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجمع وتفرقت بكم الطرق .. فمنكم من كعبته واشنطن ، ومنكم من كعبته باريس ، ومنكم من كعبته جنيف ، ومنكم من كعبته إسرائيل ، ومنكم من كعبته صندوق النقد الدولى ،ومنكم من كعبته الـ CIA .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هلا أرسلتم النظر لأبعد من أقدامكم ؟ فالموت على الباب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عمركم لحظة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جاه ولا ملايين الدولارات فى بنوك نيويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقد قررت إسرائيل ياسادة أن تقيم دولتها الكبرى على أكتافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم . وقررت أن يكون ذلك فى السنوات الأربع الباقية من حكم رجلها كلينتون .

فهل أنتم منتهون ؟



الإسلام ..
الطب ..
ومجزته ..

ماهذا الذى يحدث فى روسيا ؟

هل كان هذا النظام الحديدى آيلا للسقوط بهذه الدرجة ؟ ..

كيف صعدوا إذن إلى الفضاء .. وصنعوا اسطورة الأقمار الصناعية .. والمحطة « مير » والصواريخ عابرات القارات .. والميج .. والسام .. والرؤوس النووية .. والمفاعلات الذرية .. والتفجيرات تحت الماء .. وسلاح الغواصات المرعب .. وفائض الأموال الذى كانت تطعم منه روسيا دولا وشعوبا مثل كوبا ونيكاراجوا وموزمبيق وانجولا ومختلف الذيول الأخرى .. وجيوش الجواسيس فى أقطار الأرض الأربعة وشبكة المخابرات الرهيبة التى كانت تتصيد العملاء من قلب لندن ونيويورك وباريس .. و « تدوخ » أكبر العقول ؟ !.

هذا النظام الذى صمد لضربات هتلر ومدافعه وطائراته وقاذفاته وخاض الجحيم وانقض على الجيش الألمانى ليصرعه فى قلب برلين وعاد يغنى « الإنترناشيونالى » وليبنى الخراب والدمار ويرفع روسيا من الانقاض الى الفضاء والكواكب والنجوم وعنان السماء .

كيف ينهار فجأة .. وتتكشف كل هذه العملقة عن شعب لايجد الخبز وأسراب تائهة من البشر تفتش عن اللقمة فى أكوام القمامة ..

هكذا فجأة بلا حرب وبلا ضرب !!

ماذا كانت تلك الهمسة التى كانت تحمل سر الله ولطفه الخفى .. والتى همست فى هذا البنيان الأسطورى فسقط فجأة من طوله بلا قتال ..

إن جورباتشوف حينما حمل إلى شعبه بشارة « البرسترويكا » كان يظن أنه يقدم لهم حلما وأملا وأنه يصلح الشيوعية ويقويها ويطورها .

هكـذا كان يقول الرفاق .. ولكن ماحدث كان النقيض تماما .. وكان فى ظنى مفـاجأة لجوربـا تشـوف نفسـه .. فقـد انهدم المعبـد كلـه فجأة وسقطت الأنقاض على رأسه .. ثم دفن الركام كل شيء .

لقد استدرج الله هذا الرجل ليهمس فى أذن النـاس بالحرية ويرفع عنهم غائلة الخوف ويدعوهم إلى مصارحة ومفاتحة ومكالمة حبية ..

وفجأة ذابت المادة الـلاصقة التى كانـت تمسك بأطراف البنيـان كله .. فلم يكن يمسك بأطـراف هـذه الأمبراطـوريـة العـريضـة سـوى الـرعب والخوف .. ولم يكن يمسك الجدران سوى القمع والقهر .. وكـان الكذب هو « المانشيت » الكبير الملصق على قباب الكرملين ..

كانت الشيـوعية بيتا من الشعـارات وقلعة من الملصقات وبنيانـا هائلا من ورق الكوتشينـة .. وكان الكل عبيـد الخوف وأسرى الكربـاج .. وكانت العظمة ديكورا من الخيش الملون ..

وانكشف المسرح فجأة على حقيقته .. فالشيوعية والحرية لاتقومان معا .. والحرية لا تصلح الشيوعية بل تقضى عليها ..

وجورباتشوف قد أدرك الآن هذا وأدرك أنـه قد هدم روسيا السوفيتية من حيث ظن أنـه يطورها ويبنيهـا .. وانه كـان المعول .. وأداة الخراب من حيث لايدرى ..

وكان فى قدر الله وقضائه أن يهُدم المعبد بأيدى سدنته ..

واحسب أن هذا معنى اسمه .. اللطيف .. انه سبحانه الذى يحقق مراده فى خفاء وبلا جلبة وبأيدى أعدائه الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا ..

وقد سألوا جورباتشوف أخيرا : هل تؤمن بالله .. فقال : لا أؤمن ..

ولا أدرى مـاذا سيصنع بـه الـزمن الـدوار أكثـر ممـا صنع .. ومـاذا سيكشف له أكثر مما كشف ..

ولكن يقينى إنـه إذا كانت فى هـذا النظام المنهار قيمـة أو معنى لما سقط هكذا ككومة تراب وتبخر وأصبح كل شيء .

وتصل إلىّ دائماأعداد صحيفة « مجاهدى » أفغـانستان » وفيها يقولون دائما إنهم هم الذين هزموا روسيا ..

وأحسب الآن أن فى كلامهم معنى .. فهـم لم يهزموها بـالسلاح .. ولكن بدعوة مظلوم كان يموت فى العـراء على جبال أفغانستان الجرداء وقد بقرت القنابل احشاءه .. وكان يهمس فى حشرجته :

الغوث .. الغوث .. ياقوى على كل ظالم .. وقد أجاب الله باسمه اللطيف ..

وكان ذلك المشهد التاريخى العجيب ..

أمـة تموت وهى تحمل على ظهـرها أسلحـة وقنـابل ومتفجـرات تكفى لنسف الكرة الأرضية عدة مرات ..

فـذلك هـو الاسـم .. اللطيف .. وسره الخفى .. حينما يقبض بلطف على رقبة الظـالم ولا يتركه إلا عدما .. وصـدق رسول الله صلوات الله وسـلامه عليه .. حينما سجد يستعيذ ويستغفر :

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك .. وأعوذ بعفوك من عقابك .. اللهم إنى أعوذ بك منك » .

فذلك هـو الله .. الذى به يستعـاذ .. ومنه يستعاذ .. وهـو الأول والآخر وصانع التدبير ..

هذا تفسير الموحدين الذين يرون المشيئة الالهية فى كل شىء ..

ولكن العقلية الغربية لاتنظر بهذه الطريقة ولا ترى بفكرها إلا حسابات الـواقع وموازين القـوى وتظن كل دولـة كبرى إنها تمسك بخيط الحوادث وأنها توجه التاريـخ حيث تشاء وتشعر أمريكا بالأمان وهـى تسند ظهرها إلى « البنتاجون » وإلى ترسانة حرب النجوم وعيونها فى كل مكان وأقمارها فى الفضاء تتجسس على دبيب النمل ..

ولا توجد فى الحسـابات الغربية كلمة الله .. ولهذا لاتشعر أمـريكا بحرج فى مساندة عدوان أو الوقوف مع ظالم .

ولقد سـاندت اسرائيل وزرعتهـا فى الوطن العـربى وسلحتها بـالقنابل النـووية ، وراحـت تجند مـائة صـوت فى الأمم المتحدة لترفـع عنها تهمـة العنصرية .. تفعل هذا فى الوقت الذى تلقـى فيه اسرائيل بقنابلها على جنوب لبنـان وتـرفض كل عـروض السـلام فى واشنطن وتضرب عـرض الحائط بقـرارات الأمم المتحدة وتخطـف الرهـائن .. فماذا حـدث لتنال فجأة هـذه البراءة ؟

لقد ولدت اسرائيل عنصرية وما زالت عنصرية .. ولاشيء تغير فى سلوك اسرائيل لتمحو الأمم المتحدة قرارها الأول ..

وكالعادة اختلف العرب .. اعترضت الأغلبية ومعها كل الحق .. ولم تشترك مصر وتونس والمغرب والبحرين وعمان والكويت فى التصويت .. « لتوفير مناخ مناسب للسلام » أى سلام ؟ أليس الحق أولى ؟

إن أمريكا دولة كبرى وهى على رأس الكوكب الأرضى حاليا .. « على العين والرأس »

ولكن لا شيء يبقى فى مكانه .. فنحن على كوكب دوار ..

وبالأمس كانت روسيا الى جوارها على القمة ، وغدا لاندرى ماذا يحدث .

ولكننا نعلم علم اليقين أن الدنيا لاتديرها أمريكا ولا يدير شئونها الكونجرس.. ولكن إرادة إلهية لاتغفل ولا تنام ..

وفيما رأينا من أحداث التاريخ عبرة تكفى ليعود الأعمى منا بصيرا ..

نسأل الله باسمه اللطيف اللطف ..

خطأ الإسلاميين

الاسلام دعوة تأتى للناس بما يحبون على يد قدوة يعرفونها بمكارم الاخلاق وليس انقلابا يأتى على ظهر دبابة يحمله الى الناس بكباشى أو عقيد .. وحينما تحول الأخوان المسلمون فى الماضى من دعوة تسعى الى الناس بالحسنى.. الى جماعة سرية تسعى إلى الحكم بالقنابل .. انتهى أمرهم ..

والاسلام فى مبدئه جاء للوثنيين فى قريش كدعوة ودخل المدينة المنورة للمشركين مدعوا تستقبله الأغانى ولم يدخلها قهرا بالسيوف والنبال ..

فما باله اليوم وهو يدخل ديارا هى ديار إسلام بالفعل .. يأتيها بالحديد والنار والخسف والعسف والاعدام والمحاكمات والمشانق كما حدث فى السودان .. وكما ترسم لنفسها الجماعات الإسلامية المتطرفة فى أكثر البلاد ..

إن الاسلام ليس انقلابا عسكريا .. وليس اصلاحا للناس بالعنف وليس أكراها للناس على غير طبائعهم ..وإنما هو هداية للناس الى الفطرة.. الى فطرتهم التى فطرهم الله عليها..

وهو دعوة وليس انقلابا ومخاطبة بالحسنى وليس مخاطبة بالكرباج ..

إن الاسلام موجود فى ديارنا بالفعل .. والآذان يدوى من المآذن « لا اله إلا الله » كل يوم خمس مرات .. والناس تسعى الوفا الى المساجد .. ولاحاجة بنا الى انقلاب وإنما لإصلاح يسعى الى الناس من قنواته الشرعية انتخابا طوعيا واصواتا تخاطب الناس من منابر برلمانية وليس من أبراج الدبابات ومن فوق ظهورالمدافع..

ويريد الناس أن يروا فى الداعية قدوة ومنبرا علميا رفيعا.. وليس شقشقة لسان من شاب حدث لايعرف من دينه إلا آية أو بضع آية يسعى بها ويلوى معانيها على هواه ؛ ليسوق الناس أمامه بالعصا كالدواب الى حيث يريد..

إن الاسلام حضارة.. وحوار رفيع المستوى.. وإنقاذ.. ورحمة..

والإنقاذ لايأتى للناس كرها ورغم أنوفهم.. ومن يرد أن ينقذ الناس لايضعهم فى السجون ولا يعلقهم فى أعواد المشانق ولا يقهرهم قهرا على غير مالا يريدون..

لاتعطوا للعالم رخصة لإدانة الاسلام بما ليس فى الاسلام. ولاتعطوهم عذرا ليسموا الجهاد إرهابا فيصرفوا الشباب عن أشرف غاياته..

لقد أصبحت كلمة «الأصولية» تعنى العداوة من فرط ما أسىء استعمالها ومن فرط ماحملها الى الناس أقوام لا أصالة فيهم ولا خلق لهم ولاخلاق.. وإنما هم طلاب سلطة وطلاب رياسة وطلاب حكم يتحكمون به فى الرقاب..

إن الاسلام محبة ورحمة ومكارم اخلاق أولا.. ومن لاتوجد فيه هذه الخصال فليبحث له عن راية أخرى يدعو الناس تحت لوائها.. وحق لهذا العصر أن نسميه عصر العنف وعصر الشعارات وعصر التزييف وعصر التدليس..

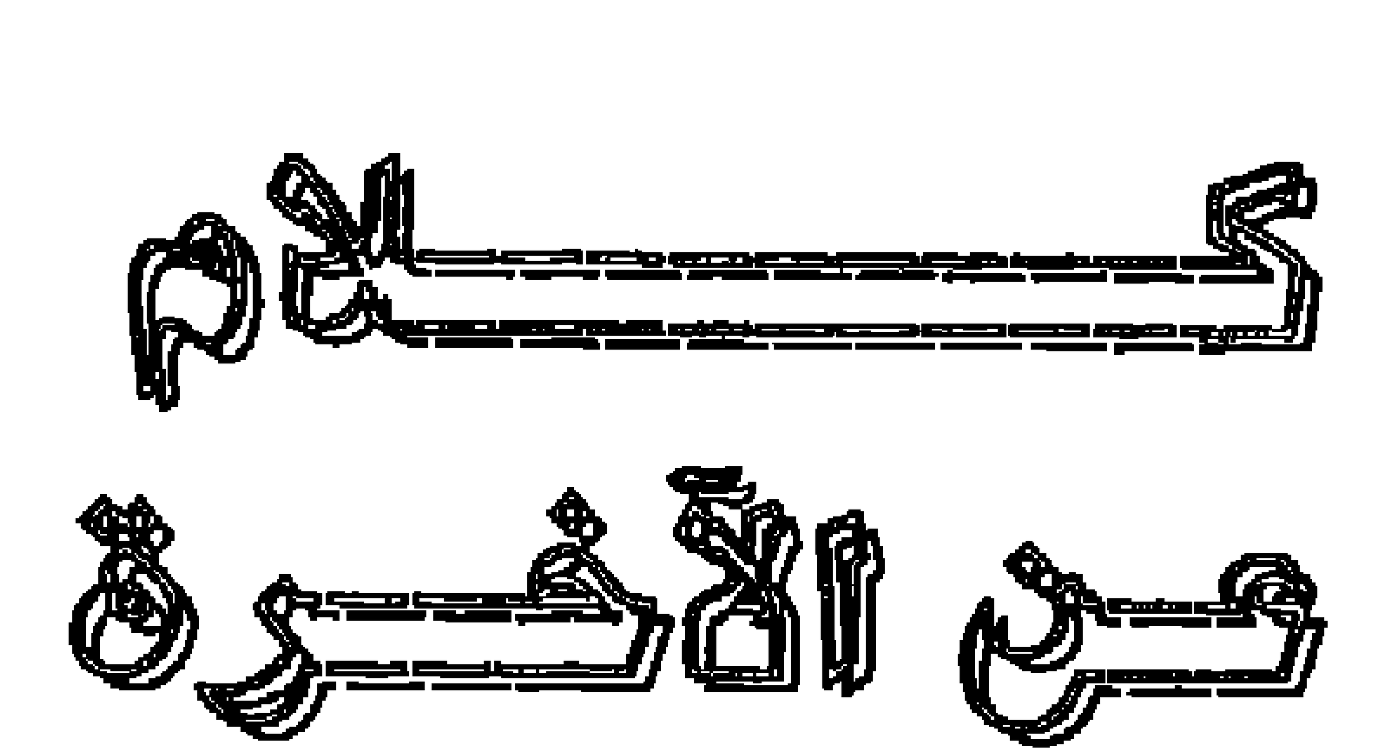
الذين رفعوا شعارات.. توظيف الاموال با لمرابحة الاسلامية.. ورفعوا لافتات.. لا ربا ولا ريبة.. كانوا هم أنفسهم أهل الريبة.. وكانوا حثالة لصوص..

وصــدام حسين الذى رفع رايــة الاسلام كــان عــدوا للإســلام.. انتهك الجوار وخان الأمــانة وقتل الأبــرياء واغتصب المحصنــات ونهب الأموال.. وكان مــاضيه الدمــوى وحكمه الدمــوى ونظامه البعثى العلمانى منــاقضا لكل ماهو دين ولكل مــاهو اسلام.. ومع ذلك صدقــه البلهاء.. ومشى خلفه المخدوعون . واتخذه مرضى القلوب إماما ورائدا..

ياأخوانى.. راية الاسلام ليست ذريعة وليست فرصة تلتقط..

راية الاسلام أمانة لايحملها ولاينالها إلا كل رحيم تقى..

فكروا طويلا قبل أن تصفقوا.. وتــدبروا أمركم قبل أن تهتفوا.. وأعملوا عقولكم قبل أن تسلموا رقــابكم لكل طامع.. فأنتم بشر.. ومن أكرم من خلق الله.. ولستم سوائم..


كلام
عن الآخرة

لو لم تكن هناك آخرة لوجب أن توجد .. فدنيانا هذه استولى عليها الغشاشون والمرتشون والكذابون والمنافقون والقتلة وعلا فيها الأدنياء وارتفع الأخساء وحكم السفاحون وفاز الدجالون وتقلد المداهنون النياشين والأوسمة ، أما الطيبون فلزموا الخنادق والكهوف ولاذوا بالجدران يدافعون عن لقمتهم الصعبة واعتزلوا شوارع النجاح القذرة وتجنبوا أوحال الشهرة ومزالق الجاه .

والقمم التى تتشدق الآن بالعدل وبحقوق الانسان هى نفسها التى داست على العدل وعلى حقوق الانسان ، وهى نفسها التى وقعت على أوراق إعدام الشعوب وعلى مذابح الضحايا وعلى محارق المغلوبين بالجملة .

قد يقول قائل : ولماذا يستوجب هذا الظلم افتراض آخرة ؟ فأقول بيقين: لأن العطش الى الماء يدل على وجود الماء وعطشنا الى العدالة أشد .. وهو الدليل القاطع من داخلنا على وجود العادل .

إن من زرع فينا العطش الى الخير والحق والعدل قد زرع المؤشر الذى يدل عليه وهو برهان قطعى لأنه برهان من قلب وجودنا وليس ثرثرة منطق ولا جدلا فلسفيا فارغا .

إن نور الحق من داخلنا .. يقول : هناك يوم لن يفلت فيه ظالم .

إن الذى أقام موازين هذا الكون المحكم الذى لا يستطيع أن يفلت فيه الكترون خارجا عن مداره دون أن يحصل على شحنة تساوى حركته .. وهو جسيم أصغر ألف مليون مرة من الهبأة .. يقول لنا ربنا بهذا المثال البليغ : إنه لن يفلت ظالم واحد من موازينه .. ولو قال ظاهر الدنيا غير ذلك .. فلابد من آخرة تصحح جميع الموازين .

إن قول الله فى كتابه .. « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » تعنى ان أغلبية هذا العالم هم من الكفرة وان كانت بطاقاتهم الشخصية تقول غير ذلك .. وان أغلبيتهم إلى النار .

ألم يقل عن الساعة إنها خافضة رافعة .. أى انها سترفع الأذلين والمبتلين من أهل الدنيا الى أعلى المنازل وستخفض بالمتكبرين من أهل الجاه الى الهاوية .. ولهذا سماها بيوم الفزع الأكبر .

ولكن الأهواء والشهوات التى تسيطر على الكل تعطل التفكير وتصنع مناخا عاما من الغفلة واقتناعا وقتيا بأن هذه الدنيا هى كل شىء .

ويظل الكل سادرا فى الغفلة حتى تأتى لحظة الموت ولا تعود هناك رجعة .

وما أقرب ذلك الموت منا جميعا .

وما أشبه الزمن بوهم .. الماضى فيه عدم والمستقبل خيال والحاضر مجرد خيط مفترض بين الوهمين .. وحركتنا عبر هذا الخيط هى أسرع مما نتصور فما تلبث سنوات العمر ان تصبح ماضيا معدوما وما تبقى لنا من أيام العمر مستقبلا موهوما .. ثم يفاجئنا الموت ولا يبقى شىء يقال .

هلا دعا كل منكم نفسه لوقفة تأمل قبل أن يرفع يده ليرتكب جريمة أو يقسو على انسان أو يختلس أو يسرق أو يأكل مال يتيم أو يظلم أرملة أو يشهد زورا أو يقتل بريئا .

هلا نظر كل منكم إلى أبعد من أنفه واستشرف إلى أبعد من مواقع قدميه وتخطى مصلحته وتجاوز لحظته ؟

وأتوجه بهذا للكبار قبل الصغار .

وأرجو أن يترجم عنى هذا الرجاء بكل اللغات إلى الآحاد الذين يحكمون العالم ويتربعون على مصائر الملايين ويتصرف كل منهم وكأنه الرافع الخافض والمعز المذل والمحيى المميت .. لعله يتوقف هو الآخر لحظة ويفكر هنيهة قبل أن تُسحب منه صلاحيات التصريف ويصبح أثرا بعد عين وهيكلا لشىء تحت التراب .

ولا يظن أحدكم أن حظه من القوة والجاه والشهرة والمال والعلم والفن

هو مقياس عظمتـه .. فالله سبحانه حينما امتدح نبيـه قال له .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .. لم يقل لـه وإنك لعلى علم عظيم أو فن عظيم أو ثـراء عظيم أو جـاه عظيم أو شـهـرة عظيمـة .. وإنما قرن العظمـة بـالخُلق على وجـه التحديد وبالخلق وحده .

ونعلم الآن مبلغ الدقـة فى هذا التـوصيف فنحن نرى الآن علماء لا نشك فى درجاتهم العلميـة ونعلم مع ذلك انهم لصوص ومـرتشون وانتهـازيون ومنافقون وعباد مناصب .

وأكبر فنـانى عصرنـا أجـرا وأوسعهم شهـرة أمثال مـادونـا ومـايكل جاكسون هم أفسدهم سيرة وأحطهم أخلاقا .. وكذلك كان أكثر الفنانين فى كل العصور أمثلة بالغة للفسوق والانحلال .

والثراء دائما كـان لصاحبـه مفسدة وكـانت الملايين لأهلهـا مضيعة .. وكان الجاه غرورا والقوة تسلطا والنفوذ غطرسة .

فلا يصلح أى شىء من هـذا مؤشرا للعظمة .. ولا عاصما لصـاحبه من عذاب الآخرة .

وانما المؤشر الوحيد للعظمة هو حسن الخلق وهـو العاصم الوحيد يوم لاينفع مال ولا بنون .. ويوم يقف الانسان عاريا إلا من عمله .

وأهل الخلق هم أهل التقوى وهم أهل الخشية لله وهم أهل الدين .

وهنرى برجسون لم ير للأخلاق أصلا ومنبعا سـوى الدين فى كتـابه : « الدين منبع الأخلاق » .

والمتصوفون جعلوا من الأخـلاق محور مجاهداتهم ورياضاتهم ورأوا فيها صراطهم الوحيد الموصل الى الله بالاضافة الى العبادة والتوحيد واتقان العمل .. واتخذوا للنفس المذنبة سلما ترتقى عليه يبدأ بالتخلية (أى التخلية من الـذنوب وهجـر المخالفـات) ثم التحليـة (بالـذكر والتسبيح والتـزام الطاعات واتقان العبادات وعمل الصالحات) .

ولهم فى ذلك أحوال ومقـامات ومنازل ومـراق تدور كلهـا حول التخلق بمكارم الأخلاق .

ويقولون إن التخلق هو السبيل إلى التحقق أى التحقق با لمعرفة الإلهية على وجه التحقيق .. وتجلى الكمالات الأسمائية على الذات العارفة فى ذروة قاب قوسين أو أدنى .. وذلك عندهم منتهى القرب وغاية المنى .

والأديان اتفقت جميعها على ضرورة الأخلاق .. وألواح موسى كانت معظمها وصايا خلقية .. والوصايا العشر فى الانجيل وصايا خلقية .. والقرآن هو المنهج الخلقى المفصل المحكم المهيمن عليها جميعها .

وبدون أخلاق لا اسلام ولو اكتملت الشعائر واتسقت المناظر والمظاهر.. فالتقوى هى جوهر الدين بلا خلاف.

وفى عصر الظلم والعدوان والبلطجة الذى نعيش فيه والحرب التى يقودها الغرب لإبادة المسلمين فى حملات الحقد والكراهية التى تجرى أمامنا لا أرى إلا كراهية تتأجج فى قلوب هؤلاء الناس ولا أرى إلا علوا واستكبارا وعنصرية وكفرا بواحا .

ولا أرى مسيحية على الاطلاق بل أرى صليبية يهودية لا تؤمن بشىء سوى السيادة لنفسها بأى ثمن .

وقد تغلغلت هذه الصليبية اليهودية الى جميع مقاعد صنع القرار وراحت تتآمر وتفسد وتؤلب الفئات والطوائف والأجناس والأديان بعضها على بعض .. وتستخدم الآلة العسكرية الأمريكية فى إثارة الحروب .

وسوف يحيلون الأرض إلى جهنم ولكنهم سوف يكونون وقودها فى النهاية ..

ولن ينتصروا أبدا ولن يصلوا إلى غايتهم .

ويقول ربنا عنهم :

« إنْ فى صدورهم الأكبر ماهم ببالغيه »

أى أنهم لم يبلغوا تلك السيادة التى يخططون لها ولن يحققوا ذلك الكبر الذى يملأ صدورهم .

ولكنهم بسبيلهم إلى تلك الغاية سوف يملؤون الأرض عذابا ويشعلونها فتنا .

ونرى الآن مشاهد مستفزة من تلك الفتن وقد اتخذ الصهاينة من النسر الأمريكى مـركبا ومن الحلفاء الأوربيين أعوانـا .. ولسوف يجلبون الخراب على أمريكا ويأتون على بنيانها من القواعد .

وسوف نـرى ذلك بأعيننا فى السنـوات القليلة القـادمة وقبل أن ينتهى القرن .

ولكنـا لن نـرى ذلك مـن مقصـورات المسرح بل سنكـون نحن المسرح نفسه .. وسنكون التاريخ .. وسنكون القدر والمقدور .

وأكاد أسمع كلام الله وكأنما يوجهـه إلى الفلسطينيين المجاهدين اليـوم « فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الأعلونّ والله معكم ولن يتركم أعمالكم ».

ولا شك أن مصيبـة العرب كلهم هى ذلك الـوهن الذى أصـابهم والذى ذكره الله فى الآية وهو يقول جل من قائل :

« فلا تهنـوا و تدعـو إلى السـلم وأنتـم الأعـلون » .

(٣٥ ـ محمد)

أى لا تستسلموا لـذلك الوهن ولا تذعنـوا للباطل وأنتم أهل الحق وأنتم الأعلون وهم الأسفلون وإن كانوا أكثـر قوة وأكثر عدة ولكن الله معكم ولن يضيع ثواب من يجاهد منكم ولن يضيع عمله .

ومـرة أخـرى أقول لإخـواننـا الفلسطينيين : لا تـوقعوا على مـذلـة ولا تبصموا على غبن .. فهم لا يريدون لكم سلاما ولكنهم يريدون استسلاما .

وأنتم جميعا ظهوركم الآن إلى الحائط .

وأى تنـازل آخر سـوف يعنى خروجكـم من دائرة الوجـود بالكليـة .. وانظروا ماذا تصنع الأمم المتحدة بإخوانكم فى البوسنة .

ان آخر ما قاله لورد أوين وسيط السلام إلى مسلمى البوسنة :

ليس أمامكم الا قبـول الأمر الواقـع .. وإذا لم توافقوا فـإنا سوف نقطع عنكم المعونات الغذائية وسوف نسحب قوات الأمم المتحدة .

وهذا كل مـا تقدمه الأمم المتحـدة ورسل السلام الى الحفنة البـاقية من المسلمين المحاصرين بين مطرقة الصرب ونار الكروات .

ولورد أويـن وسيط السلام اليهودى لايفكـر فى أن يضـغط على الصرب أو على الكروات .. بل كل ما يفعله من نجدة هو أن يضـغط على رقاب المسلمين ويهددهم بالموت جـوعا هم وأطفالهم إذا لم يقبلوا التسليم بـالأمر الواقع .

وهذا هو سـلامهم .. إنه الذل الأكثر مـرارة من الموت .. فلماذا الوهن .. ولماذا هذا التخاذل ؟!

أحبا فى دنيا لاتساوى شيئا ..

أحبا فى لقيمات مغموسة فى الذل ؟

لقد سألـوا النبى عليه الصـلاة والسلام عن الـوهن الذى جـاء فى الآية الكريمة .. وقالوا له : وما الـوهن يارسول الله .. فقال الصـادق الأمين : هو « حب الدنيا وكراهة الموت » .

وهذا حال أمة المسلمين كلها اليوم .. فى كلمتين .. هـو حب الدنيا وكراهة الموت .

ولن يتبدل حـال تلك الأمة الا حينما يظهر فيهم أولو العـزم .. والعصبة أولـو القوة .. التى تبيع دنيـاهـا بـآخرتها .. ولا تـرى فى تلك الـدنيا شيئـا يساوى المذلة من أجلها .

وهانحن أولاء بـدأنا بالكلام عـن الآخرة وانتهينا إلى الكلام فى الـدنيا .. وهل يختلف الاثنان ؟

أليسا وجهين لحقيقة واحدة .. هى نفوس تبتلى هنا وتثاب هناك .. وهى ما بين زمن ضائع اسمه الدنيا ، وخلود أبدى اسمه الآخرة .

الدين الجديد
الذى يدعون إليه

هناك اتفاق غير مكتـوب بين دول الغرب تقوده أمريكا نحـو دين جديد عالمى اسمه : الـديمقراطية وحقوق الانســان .. يحل محل الاديان الموجودة التى تفـرق الناس وتجعلهم أعـداء (هكـذا يظنون) وتجعل العـالم محلا لصراعات لاتنتهى .

والاسلام على رأس الاديـان المتهمة بـإثارة العـداوة والبغضاء والحرب على الحضــارة العلمية الجديـدة وهــو على رأس قـائمة الأديـان المرشحـة للزوال .

وقـد صنعـوا نماذج يخيفون بها كـل من تحدثه نفســه بـالإســلام أو بالحكم الاسلامــى .. وهذه النماذج هى افغانستان التى يتقـاتل فيه القادة الاســلاميون حكمتيـار وربانى وشــاه مسعود ويتبـادلون الصــواريخ فى كابول بعد أن استقرت اقدامهم وهزموا الشيوعية ورفعوا راية الاسلام هو الحل .. فاذا بها فى الحقيقة راية دموية اسمها : الاسلام هو القتل .

ومن هذه النماذج أيضــا .. الجبهة الاســلامية لــلإنقاذ فى الجزائر التى ركبت الموجــه الديمقـراطيــة لتصل إلى الحكم فلما فــازت بالأغلبيــة رفعت شعارات ضد الديمقراطية ..وأعلنت أن الديمقراطية كفر .

ثم كل ارهــابى يفجر القنــابل ويقتل الناس يســارعون فيضعــون على صــدره بطاقــة « الاســلامى الأصــولى » ويجعلون منــه نمــوذجا لإســلام المستقبل ، ومعظم هؤلاء الارهابيين من صنــاعتهم ومن تربيتهم .. وربانى وحكمتيار وشــاه مسعود وعبد الـرشيد دوستم وراء كل واحـد منهم دولة تموله وتسلحــه وتدفعه ليظل الصراع الـدموى مشتعـلاً .. وليظل الاسلام موصوما بالعدوان والبربرية والتخلف والعجز .. والتناحر القبلى والطائفى فى افغـانستان وراءه أمـوال تـرعاه وتنفخ فى نــاره كلماخبت زادتها سعيرا

لتظل القوى الاسلامية أحقادا مشتعلة يأكل بعضها بعضا .. وليظل النموذج الاسلامى المخيف قائما أمام كل من تجدثه نفسه بالاسلام .

ونسأل ـ ومن حقنا أن نسأل ـ عن هذه الديمقراطية وحقوق الانسان التى يريدون أن يجعلوا منها بديلا يوحد الناس ويجمع أشتات العالم .

ماهى تلك الديمقراطية التى يريدونها لنا . إن يلتسين أحرق البرلمان وسجن النواب وصادر الصحف وحل الأحزاب المعارضة وحل المحكمة الدستورية العليا التى تراقب دستورية القوانين وطالب برلمانات الأقاليم أن تحل نفسها وأعلن الأحكام العرفية وأطلق مخابراته تفتش الناس فى الشوارع .. فماذا فعل الغرب الديمقراطى ؟!..وماذا كان تعليق المتحدثين الرسميين فى انجلترا وفرنسا وأمريكا .. لقد رفع الجميع قبعاتهم وهللوا وأيدوا ..وقال كلينتون : إن الرجل يسير فى الطريق الصحيح إلى الديمقراطية !.. شىءعجيب .. عن أى الديمقراطية يتحدثون ..عن الديمقراطية يتحدثون أم عن مصالحهم ، لقد صادف تخريب روسيا هواهم فهللوا وصفقوا وأيدوا وقالوا: نعم روسيا تسير فى طريق الديمقراطية . وهل هذه الديمقراطيةهى التى ستوحد العالم . وحينما يقتل جندى أمريكى واحد فى الصومال ويوضع طيار واحد فى الأسر يرتفع ألف صوت فى أمريكا يصرخ بالتهديد والوعيد ويذكر بحقوق الانسان .. وتتحرك البوارج والدبابات وحاملات الطائرات وتنصب النيران من السماء على الشعب الصومالى الجائع العريان . وحينما يقتل مائتا ألف مسلم فى البوسنة وتغتصب ستون ألف أمرأة ويشرد ٢ مليون لاجىء يلزم الجميع الصمت ، ولايخرج من امريكا صوت ولا يصدر قرار باستنكار ماجرى لحقوق الانسان ولاتقلع طائرة ولاينطلق صاروخ واحد ليحمى حقوق الانسان .. عن أى حقوق انسانية يتحدثون ؟! ونسأل ومن حقنا أن نسأل.. أهذه هى الديمقراطية وحقوق الانسان التى تبشر بها امريكا والتى يرشحها الغرب ويختار ها العلمانيون لتحل محل الأديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم اعداء ؟! وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .. والمقصود طبعا هو الاسلام .. والمطلوب محوه من قائمة الأديان السماوية

هو الاسلام ..فهو وحده الذى يضمر العداء .. وهو وحده الذى ينوى الخراب للعالم وهو اتهام مثل قول البعض ان محاكم التفتيش فى العصور الوسطى هى المسيحية التى دعا اليها المسيح .. وهو ليس اتهاما وانما تشنيع ظالم وسوء نية وخلط فكرى وهذا هو عالم اليوم .. مسرحا للظلم والفوضى الفكرية وتسابق فى خلط الاوراق .. ومحاولة لمحوالأديان واتهامها بما ليس فيها للخلاص منها . ولن تصلح الديمقراطية دينا ولا حقوق الانسان ملة لأنهم يجعلون منها ثيابا فضفاضه يفصلونها على هواهم ويقيسونها على مصالحهم . فديكتاتورية يلتسين هى عين الديمقراطية لأن خراب روسيا وانقيادها يروق لهم . وسيظل دين الاسلام الذى أنزله الله هو الحل لأنه لايتبع الهوى ولايحابى جنسا على جنس ولا لونا على لون ولاقوما على قوم .. فقد جاء الاسلام وجاء محمد رحمة للعالمين وليس رحمة للشرق الأوسط أو الجزيرة العربية وحدها . ولأن الاسلام يعنى القيم والمثل والاخلاق ولأنه يأمر بالعدل ويحمى حقوق الانسان من قبل أن يعرف الاوروبيون هذه الحقوق .. وبدون القيم وبدون الاخلاق لن تقوم للديمقراطيةقائمةولالحقوق الانسان وجود ولن تصلح أى من هذه النظم الوضعية بديلا للدين . ولأن الدين يقوم على النية ولايصدق عمل دون أن تصدق النية .. فلن يكون للدين بديل وضعى يمكن أن يحل محله .. لأن النيات لامكان لها عند الماديين فهى عندهم غيب وهم لايعبأون الا بالظاهر ولايعملون الا للظاهر . والاسلام اعطانا الخلود واعطانا الآخرة ووعدنا بالجنة الابدية . فماذا وعدونا هم سوى الكوكاكولا والهامبورجر والجينز ومادونا وجاكسون وسائرالمتع المنحلة ثم عمر قصير ينتهى بالموت والتراب .. ولنا روح لاتفنى هى نفخة الله فينا ولنا رب لايموت فماذا تعد أحزابهم العلمانية أتباعها سوى الغرور والمغانم الوقتية واحلام السيطرة الزائفة وماذا عندهم سوى المال الزائل والحظوظ الفانية .. ومرحبا بالديمقراطية الصحيحة ونحن نهتف معهم لهذه الديمقراطية ونسعى اليها ولكنها لن تصلح بديلا لديننا وانما هى مجرد شرعة تستقيم بها دنيانا وهى بعض مايأمر به اسلامنا وهى بعض أعمدته التى أقام

عليها عمار الأرض وصلاح المجتمع . والإسلام يجمع لنا حسنات الدنيا وحسنات الآخرة .. وهو الغذاء المتوازن للروح والجسد والاشباع الكامل لتركيب الانسان الجامع بين تراب الارض ونورانية السماء . وستظل كل النظم الوضعية من اشتراكيات ورأسماليات وديمقراطيات وديكتاتوريات كيانات ناقصة فى حاجة إلى زرع ضمير وزرع قيم وزرع أخلاق لتعيش وستظل كمريض الفشل الكلوى فى حاجة الى غسيل دم وفلترة سموم دورية متكررة لتستمر ؛ لأنها لاترى فى الانسان الا جسمه وحاجاته المادية ووجوده العابر .. ولاتبصر روحه ولا تعترف بالذات الالهية التى نفخت فيه تلك الروح . ونعترف معهم أن اكثر المسلمين متخلفون رجعيون كسالى ، ولكننا نقول إن تلك الكثرة المتخلفة لاحظ لها من الاسلام إلا الاسم والبطاقة.. وأنها ليست حجة على الاسلام ولكن الاسلام هوصاحب الحجة عليها .. ونقول ان الله امتحن المسلمين بالدنيا ليميز الخبيث من الطيب.. وقال إن اكثر الناس لايفقهون، وأن أكثرالناس لايؤمنون . وقال عن المؤمنين : « وقليل ما هم» وسيظل الاسلام تحديا مستمرا لكل ماتقدم العقول من بدائل . والاسلام يحتوى على الديمقراطية ولا تحتوى الديمقراطية عليه كما يحتوى على كل ماقالوا من حقوق الانسان وعلى أكثر مماقالوا .. بل ان ثورة الحفاظ على البيئة وعلى التنوع الحيوى التى يقول بها مثقفوهم الآن هى أصل من أصول الاسلام .. لان الأرض وماعليها ميراث المسلم وهو مسئول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تنميتها مثل مسئوليته عن ميراثه والتاريخ يقول ان المسلمين كانوا مسالمين وان العدوان دائما كان يأتى من الأطراف الآخرى .. حروب الاستعمار والحروب الصليبية.. هم الذين أعلنوها والغزو الثقافى والفتن الشيوعية هم الذين روجوها ، والإبادة التى تجرى للمسلمين فى أوربا حاليا هم وراءها وهم مدبروها .

ومازال التاريخ يحكي.. ومازال المسلمون يتلقون الرصاص عن يمين وعن شمال .

عن السوق الشرق أوسطية

المتفائلون يقولون إن السوق الشرق أوسطية والانفتاح على اسرائيل سوف يأتى بنهر من الاموال والمعونات والدولارات والخير العميم لمصر وان

علينا ان نفتح أذرعنا بلا تفكير ونتعامل مع تلك الفرصة المتاحة بدون عقد وندع مخاوف السياسة ووساوس الدين وراء ظهرنا ونفكر بذهن اقتصادى محايد وبأسلوب علمى موضوعي.. فهذا مشروع مارشال آخر فى الطريق وسوف ننهض كما نهضت المانيا فى سنوات قليلة.

وعن التنافس مع اسرائيل فى ظروف غير متكافئة يقولون:

إذا كان فى اسرائيل علماء فعندنا علماء نوابغ فى كل فرع ويكفى أن نذكر أحمد زويل المرشح لجائزة نوبل فى أمريكا والدكتور مجدى يعقوب الذى حصل على لقب «سير» فى انجلترا .. وغيرهم وغيرهم فى كندا وفى اوربا وفى كل مكان .

وأقول لهم: نعم هذا حدث ولكنكم نسيتم أين تفتحت مواهب هؤلاء وأين نبغوا.. انهم ظهروا ونبغوا حينما هاجروا إلى امريكا وانجلترا وعاشوا فى مناخ مختلف .

إن مصر مليئة بالمواهب والعبقريات هذا صحيح ولكن المناخ العلمى والاجتماعى فى مصر سيىء ومتخلف والبروقراطية والسرطان الحكومى والشللية تجثم على أنفاس الناس وتكبل مواهبهم.. كم من الأموال ترصد للجامعات والشركات الكبرى للأبحاث.. مبالغ لاتذكر.. بينما هى فى امريكا وأوربا واسرائيل مليارات..لقد اصلحوا مرصد هابل فى الفضاء بمليار وخمسمائة ألف دولار بينما مرصد القطامية معطل على الارض من سنين على مبالغ تافهة لاصلاح مرآته ومازالوا يجتمعون وينفضون بدون حسم.. وبدون نتيجة.. والقبة السماوية فى أرض المعارض عندنا انهدمت على ما فيها لم تتحرك يد لبنائها وتجديدها.

وكل شىء يجرى فى حركة بطيئة سلحفائية لاتلبث أن تتوقف فى اختناقات ومعوقات لاآخر لها .

والوعود بإصلاح البروقراطية مازالت كلام جرائد والقضاء على البلهارسيا فى مصر أسهل الف مرة من القضاء على البيروقراطية.. ومع ذلك مازالت البلهارسيا موجودة منذ خمسة آلاف سنة. وهناك كارثة حقيقية فى التعليم وتخلف فى المناهج وبدائية فى المعامل والمختبرات وتكدس وازدحام فى الفصول والمدرجات يمنع من تحصيل أى فائدة .

إن البنية الاساسية للعلم والبحث تكاد تكون غير موجودة.

ونحن فى حـاجة أولا إلى اصـلاح البنيـة الأساسيـة للعلم لنـدخل فى أى سباق.

وللأسف نحن نهتم بـالكورة أكثـر .. وقد انفقنا ثـلاثمائة مليون دولار على الدورة الاولمبية الإفريقية بدون عائد سوى السمعة الكروية الكاذبة..

إن التفكير السياسـى فى بلدنـا يجب أن يتغير والأولويـات يجب أن يعاد النظر فيها .

ولاتـوجد أولـويـة قبل التعليم والبحث العلمى إذا أردنـا أن ندخل هـذا العصر وأن نسابق سنغافورة ولا أقول اسرائيل .

ولست ضد السوق الشرق أوسطيـة ولكن علينا أن نمتلك أدوات اللعبة قبل أن نـدخلها ولا نفرط فى حسن الظـن ،فإسرائيل تريـد مصلحتها بهذه السـوق قبل مصلحتنـا .. والفلسطينى والسـورى واللبنـانى هم عمالقـة التجارة وحيتـان السوق وقد هزمتنـا لبنان فى سوق الكتـاب وكانت بيروت عاصمة النشر وعاصمة الكتـاب العربى حتى وهى فى غمرة الحرب الأهلية.. والكتاب فى لبنـان كان يتحرك فى سهـولة أكثر لينتشر فى العـالم بأسرع مما يتحرك الكتـاب فى مصر حتى ولبنان تمطـرها الصـواريخ.. وهؤلاء ومعهم أسرائيل هم المنافسون الجدد الذين سننافسـهم فى السوق الشرق أوسطية .

لماذا لانتجـه غربـا الى ليبيـا وجنوبـا الى السـودان فهنـاك ثروات بكـر وغابات غنية ومساحات فلكية وفرص للاستثمار وأسواق بلا جدود.

ولماذا نقف على البوابـة الامريكية لانبرحهـا.. لماذا لانتحرك دبلومـاسيا نحو الصـين..إن اسرائيـل ترابط هنـاك منذ عشر سنـوات وزيارات الخبراء والوزراء وأصحـاب الشركات الاسرائيليـة لاتنقطع.. وقد تحدثت الصحف اخيرا عن التكنـولوجيـا المتطـورة التى تسربها اسرائيل الى الصين كرشـوة محبة وعربون صداقة منذ أكثر من عشر سنوات .

لقد أدركت اسرائيل أن الصين هى نجم الشروق المقبل فرابطت على بابه ووقفت فى رحابه.. بينما وقفنا نحن على العتبة الامريكية لانبرحها .

إن السياسة المصرية فى حاجة إلى اعادة نظر فى كل شىء..وتوجهاتنا آن لها أن تتغير.

● ● ●

مأساة مسلمى البوسنة

توارت أحداث البوسنة خلف حريق برلمان روسيا ومذبحة الديمقراطية فى موسكو ومذبحة الجنود الامريكيين فى الصومال وصراع بى نظير بوتو ونواز شريف فى باكستان وأخبار الزلازل والأعاصير والسيول فى كل مكان ثم عادت تطل برأسها الدامى الرهيب من جديد .

وقرأنا عن الفظاعات التى يرتكبها الكروات وكيف أنهم يقيدون أسرى المسلمين بأحزمة من الديناميت والمتفجرات ثم يضعونهم فى مقدمة جيوشهم الزاحفة ليكونوا دروعا واقية لعدوانهم وكيف أنهم يملأون الخنادق بالألغام ويضعون فيها الأسرى المسلمين لتحميهم إذا تراجعوا وقد تفوق الكروات على الصرب فى البشاعة والحقد وقرأنا عن اغتصابهم لعجائز النساء والأطفال إمعانا فى الاهانة والاذلال بعد أن كانوا رفاق السلاح بالأمس .

ثم بعد ذلك يلوم البعض الرئيس المسلم عزت بيجوفتش لأنه رفض التقسيم ، وشرط قبوله بإعادة الاراضى المنهوبة وتقديم الضمانات الدولية التى تضمن التنفيذ ، وقولته المشهورة: نموت واقفين أفضل من أن نموت راكعين.. وهى قولة بطل.

لقد تأسف كلينتون لهذا الشرط الذى وضعه المسلمون لقبولهم للتقسيم.. وعجبت لأسفه.. فماذا كان يريد منهم أن يفعلوا.. وهل هو معهم أم عليهم ؟!

وذكرتنى بطولة المسلمين البوسنويين بموقف الصوفى المسلم الشيخ نجم الدين الخوارزمى حينما دخلت جيوش التتار خوارزم ، فدعا الناس للصلاة جماعة ثم قال لمريديه : قوموا نقاتل فى سبيل الله ودخل بيته فلبس خرقة شيخه وحمل على العدو فرماهم بالحجارة ورموه بالنبل وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم فى صدره فنزعه ورمى به نحو السماء وتفجر دمه وهو ينشد مخاطبا مولاه:

إن أردت فاقتلنى بالوصال أو بالفراق.

وفى كتابه «فواتح الجمال وفواتح الجلال» يروى الدكتور يوسف زيدان حياة هذا الصوفى الذى يعده أعظم رجال التصوف السنى فى المشرق الاسلامى.. ولمن يريد أن يعرف المزيد عليه أن يبحث عن الكتاب.

وهؤلاء هم المسلمـون الذين أحبوا لقـاء الله فتسابقوا سـابحين إليه فى أنهار من دمائهم.

وما أراد الله بالقـدر الدامى الذى يجريه فى البوسنـة إلا ليضرب لنا مثلا وليشهدنا ويشهد الدنيا..

لماذا خلق الجنـة ولمن خلقهـا.. ولماذا خلق النار ولمن خلقهـا.. وليشهـد ملائكته علي أحبائه وليقول لهم: اكتبوا أن هـؤلاء أحبائى وانا وحدى القادر على مثـوبتهم ومن أجلهم خلقت جنتى وأن هـؤلاء أعدائى المبغضـون ومن أجلهم خلقت نارى.

واذا كانت أوروبـا وامريكا تخشى الاسلام وتجعل منـه عدوها الأول.. فـلأنها تـرتجف رعبـا من هـذا الايمان .. ومن هـذه المثل البطـوليـة التى لاتـدرى كيف تتعـامل معهـا بـالـدولارات .. إنها تخشى هـذه الطـاقـة الاسلاميـة الكامنة.. ولاتخشى واقعـا عدوانيا.. فـالمسلمون فى الحضيض ولايملكون تهديد بعوضة.

وأقول للحكـومات الاسلاميـة المتقاعسـة عن نجدة الاخوة فى البـوسنة الـذين لم يطلبـوا منهم إلا المال والسـلاح.. وفى اجتماع الدول الاسـلاميـة الأخير لم يطلب عـزت بيجوفتش إلا مـائتين وستين مليـونا من الـدولارات (ثمن قصر صـغير من قصـور الترف العربية وآخـر قصر فى لندن يبنيه ثرى عربى بتكلفة ٧ مليارات من الدولارات).. ومع هذا لم يظفر عزت بيجوفتش من الكرم العربى بأكثر من خمسين مليونا من الدولارات.

وعجلة الزمن تدور.. وتوشك الستـار أن تسدل على الابطال الصامدين فى الميدان وأقول للحكام العرب:

ادفعوا لتنجدوا أنفسكم من أهوال يوم عظيم فإنكم أمام إله لاينسى.

ادفعوا قبل أن تسدل الستار ثم لايبقى لكم إلا الندم.

انجدوا أخوانكم فى خنـدق الموت قبل أن تلحقوا بهم والموت أقرب الى كل منـا من شراك نعله.. ومـا الـدنيا بـزخرفهـا إلا ديكـور من الخرق الملونـة وأوراق اللعب.. وغدا ينهـد السامر ويتفـرق السيرك الى حيث لاتنفع صلاة

ولاصيام ولا ينفع إلا قلب سليم من الغش ، خال من النفاق وأيد صدقت وعملت وجاهدت فى سبيل كلمة الله .

وأخيرا حيث لا أحد يقرأ ولا أحد يسمع وقد وضع الكبار القطن فى آذانهم.. فإنه لم تتبق الا الشعوب.. لم تبق سوى كلمة الشعوب .. الف مليون مسلم يمكنهم مباشرة المقاطعة الفعلية لمنتجات هذه الدول .. وسوف يجدون البديل الجديد فى السلع اليابانية والصينية والكورية، فى كل مايحتاجون اليه فلا يشترون فتلة من المنتجات الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الامريكية أو الصربية .

أنهم يمكن أن يثبتوا أن لهم وزنا وأن لهم كرامة.

وأغنياؤهم يمكن أن يعطوا المال.

وضعفاؤهم يمكن أن يخروا ساجدين ويرفعوا الأيدى بالابتهال والدعاء.. ويصرخوا الى الله داعين كما دعا موسى على فرعون وقومه:

« ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ».

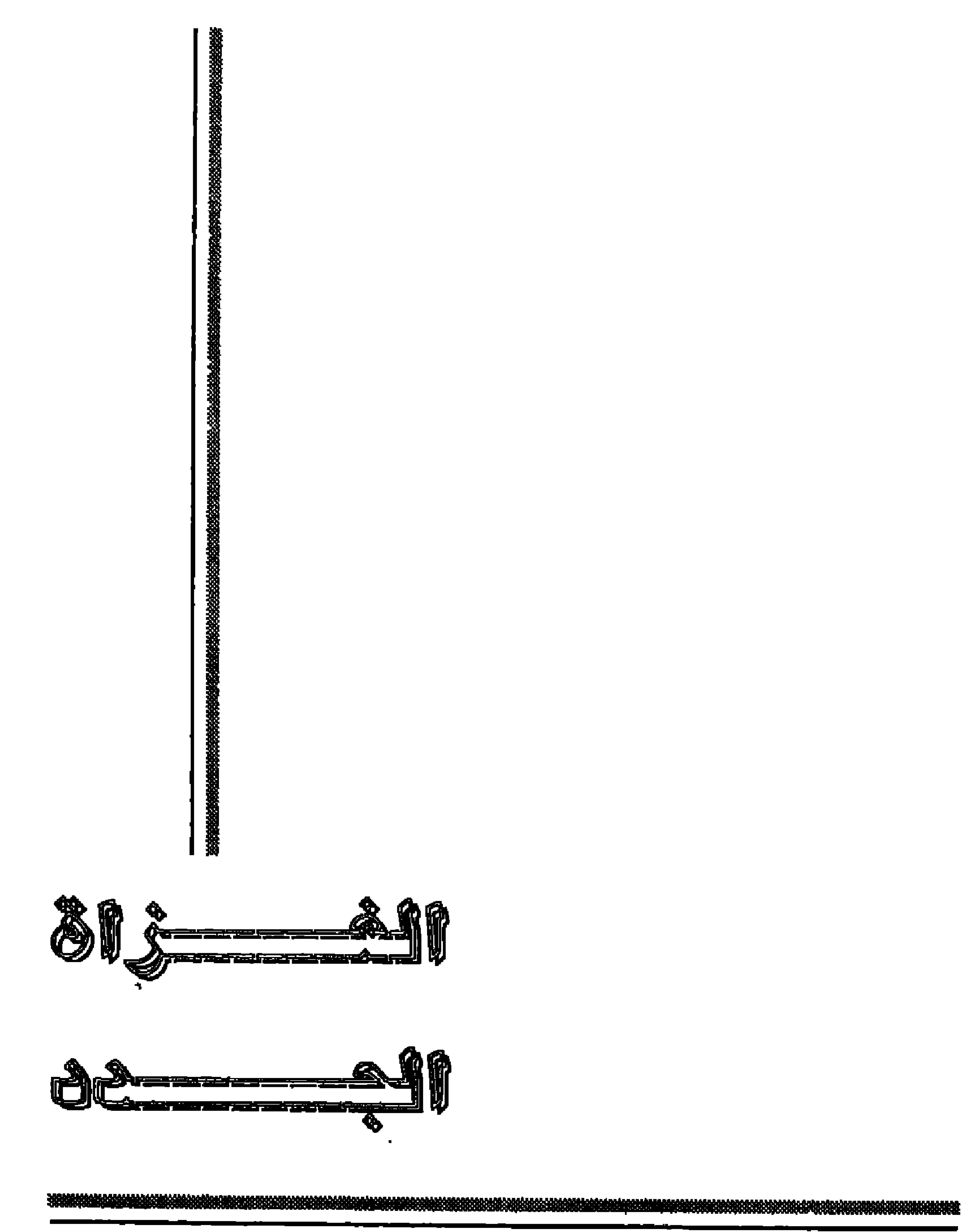
فليسجد ضعفاؤنا باكين متضرعين متوسلين بجميع قلوبهم :

ربنا زلزل بنيانهم وامحقهم عددا وبددهم بددا واحجب عنهم علمك وامنع عنهم فضلك واقدر عليهم رزقك.. ربنا وعاملهم باسمك العلى الجبار المتكبر المنتقم المهيمن المذل القابض المميت.

ربنا ياناصر المستضعفين ومجيب دعوة المضطرين .. انصر هذه القلة الثابتة الصابرة المصابرة المقاتلة من مسلميك فى سراييفو وفى أنحاء البوسنة وايدهم بجنود من لدنك.. فلا إله إلا انت سبحانك ولا احد يعلو عليك..

إن اعداءنا قد بغوا علينا بقوتهم ونسوا قوتك وحسبوا حساب كل شىء إلا وجودك.. فذكرهم يارب بأيامك.

ادعوا من قلوبكم يا أخوة موقنين بالاجابة.. فليس بين دعوة المظلومين وبين الله حجاب .



المرأة الجديدة

اللافتـات وأسماء المحلات فى الشـارع المصرى تكاد تختفى منهـا اللغة العـربيـة وحيثما ذهبت بعينك لاتـرى الا أسماء فرنسيـة أو انجليـزيـة أو ايطاليـة .. على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كـونتننتال .. روستوران أورينتـال .. بوتيك شارم .. بيتـزا ايطاليانو .. عصير مـادونا .. حلـوانى دليشس .. كافيـه كابتشينـو .. أيس كريم تـاون .. كويك فـود .. كوافير رومانتيك .. عجلاتى كويك رن .. ميكـانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. تـرزى شيك .. أزيـاء مـودرنـا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هـذا أبـدا فى المساجد .. وانما تجد الأسماء العربية والعـربية الفصحى .. مسجد الرحمة ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسجـد الرضوان .. ومسجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسجد المغفرة .

الاسلام هو الـذى حفظ هوية المنطقة .. وهـوالذى مازال يضبط النطق العربى .. وفى هـذه الفوضـى من التفـرنج والاغتراب كان المسجد هـو مؤشر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

ومازلت أعتقد أن الـدين هو الذى حفظ المنطقة مـن الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون .

وكان من نتيجة هذا العامل الـدينى الضابط للايقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمـر هو الذى يتلـون باللون العـربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجـة المصريـة والنكتـة المصريـة والأكلة المصريـة ، ونـذكـر أن الاسكندر حينما غـزا مصر لم يستطع أن ينقل اليهـا آلهة الأولمب اليونـانية وانما على العكس البسه كهنة سيوة ديانـة آمون وخرج من معبد سيوة على اعتقاد انه ابن الالـه المصرى الذى حبلت به أمه المقدونيـة .. وكلها أدلة على

سلطان الدين وقوته فى مصر .. وأن مصر تصبغ الـذى يغزوها رغم مايبدو فى ظاهر الشارع المصرى انها هى التى تصطبغ بلونه .

والحقيقـة ان الغـزو الثقـافى رغم ضراوته لم يتجـاوز القشرة الـرقيقـة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمـام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضـور الاسلامـى يفرض نفسه هذه الأيام ونحـن نرى الآن الهوية الاســلاميـة تملأ الساحـة بكل درجـات الطيف من الحضــور الاســلامى الواعى والمستنير الى التشــدد والتطرف الى الهوس الى الاغـراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات الى الجنون والفوبيا الدينية ..

والهوس والتـدين الشكلى والنقاب والقفـازات والعباءات الســود هى فى نظرى غـزو ثقافى آخـر مضـاد وهو أجنبى عنـا وعن اسلامنـا بقدر غـربة وأجنبية العرى الفرنسى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الاسلام مـن داخله مثلما أن الثقافات الامريكية المنحلة هى سلاح مسدد لهدم الاسلام من خـارجه.. والفرق انه غزو للبيت من بابه.. غزو يستعمل نفس الأبجديـة الاسلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب.. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم.. ولا اله إلا الله..كما نقول.

وجماعة البـلاليين فى أمريكـا (نسبة إلى بــلال) الذيـن يركبـون البغلة اقتداء بـالرســول عليه الصــلاة والسلام ويأكلـون بأصابعهــم ويقضـون الحاجة فى الخلاء.. هـم نمــوذج آخر من هذا الهراء الـذى يسىء إلى الاسـلام ولمعنى السنة المحمديــة، فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتميـز عن اقرانه بركـوب البغال ، فالكل كــانوا يركبون الـدواب وكانوا يقضــون الحاجة فى الخلاء وكانـوا يأكلون بأصابعهم.. وإنما تميـز وانفرد بالصدق والأمـانة والشجاعــة والشهامة والتقوى ومكــارم الاخلاق.. وفى هذا يكـون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالاصابع وفى قضاء الحاجة فى الخلاء.. وليس فى ذلك السـخف أى سنة وانما هو غزو ثقــافى مضـاد يستخف بالاسلام ويهزأ من السنة ويضحك على العقول.

وكل هذه التيارات المتناقضة تموج بها دوامة الشـارع هذه الأيام.

ولايـدرى بعض دعـاة الاسلام أنهم دعـاة ضـد الاســلام من حيث لا يشعرون.

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس .

ولا ننسى الغــزو الاخـر الجهير القـــادم من الشمال فى سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغنـــاء الـــديسكـو ومـــوسيقى الــزار والهلوسات التشكيليـة التى تدلق الألوان على اللوحـات وتسميها جماليات سيريـالية ، وتضع كـومـة من الزلط وتسميهـا نحتـا ، وتجمع زبالـة من الحديد الصدىء وتسميها تمثالا.

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعر .. والمذاهب الجديدة فى النظم بلا نظم .. والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو وبلا اعراب .. وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة .. وقصيدة ج وأمثالها .

ثم الغـزو الآخر الفـاجـر فى الروايـة الجديـدة لسلمان رشدى « آيـات شيطانية » الـذى تصور مؤلفها أنه أتى بـإبداع جديد فى عالم الـرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وماعبر الا عن مرضه النفسى .

ومصر بلد مفتـوح النوافذ على ثلاث قـارات : أوروبا وآسيا وافـريقيا .. وهى لا تستطيع أن تغلق أبـوابها لأنها جسر عبـور وممـر تجارى وثقـاف وحضـارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترولها ومعادنها وناسها وتاريخها وهى مطمع الكل .

وفيما مضى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش .

أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشاشـة التليفـزيون .. ويحكم من داخل صندوق النقـد الدولى .. ويسيطر من خـانة القـروض والفوائد .. ويتسلل من ثغـرة التكدس السكـانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيـوش الآن جيـــوش خفيـة.. اسمهـا .. الموســـاد .. والـــ CIA والماسونية .. والمخدرات .. والارهـاب .. والقنابل .. والمتفجرات .

والتآمر يستعمل الآن نوعا جديدا من العمالة الراقية .. هم وجهاء الناس وكبراؤهم وسادتهم وأغنياؤهم .. كما يستعمل نوعـا آخر من العمالةالدون يدربها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات .

وفى هذه الأجواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى .

وفى هـذا العصر المرعب يعيش العالم المقبـل على فواتح القـرن الحادى والعشرين .

والمتـابع للإخبـار والقارىء للصحـف يصاب بضغط الـدم والذبحـة والجلطـة والاكتئـاب لكثرة مـايقـرأ ويشـاهد من الانفجـارات والثـورات والانقـلابـات وعجائب الجرائم واحـداث القسـوة والعنف التى تشيب لها الـــــــرؤوس وكـأنما اختفى الضمير فجـأة وتحول البشر الى قطيع مـن الحيوانات .. وتتكلم دول كبرى عن حقـوق الانسان وهى ذاتها تدوس على عنق هـذا الانســـان بـالحذاء .. ووسط هـذا الجنـــون لاشىء يمسك على الانسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتـاع الملتاع سوء بقية من دين وبصيص من ايمان عميق واسـلام صـادق منقاد لقضـاء الله وقـدره واثق بحكمته المستترة الخافية من وراء كل شىء .

مــاذا يــريـــدون ؟

أمــريكا تثير العــالم على ايـران وتحاصرها بـالتهم وتلفق لها الأخبـار وتدفع عليهـا الأصدقاء والحلفـاء وتحرك سفاراتها فى كل مكـان .. ويبدو انها تمهد المسرح لشىء وتبيت لعدوان مخطط . ولكن السؤال : لماذا تحاول أمريكا أن تضرب ايـران بأيد عربية ؟ لماذا تحاول أن تضـع عدوانها فى قفاز عربى كما فعلت فى حرب الخليج ؟ .

لماذا لاتفعل مـاتـريـد أن تفعلـه فى وضـح النهـار دون ان تتخفى خلف العبـاءات العربيـة بدعـوى الانقـاذ واعادة السـلام والتوازن إلى المنطقـة والتحذيـر من الارهـاب .. ألخ .. ألخ .. رغم أن التحقيقـات تقول كلامـا آخر وتكشف عن مصادر أخرى للارهاب غير ايـران ، فالخيوط كلها تلتقى عند مجموعة بيشـاور ومجموعة بيشـاور ، كانت تعمل بأموال أمريكا وتسليح امريكى وكانت تنفـذ تخطيطا أمريكيا فى قتالها للسـوفييت .. فهى مجموعة عملاء لأمـريكا منذ البـداية .. ثم ان كل الذين قبضـوا عليهم بتهمة تفجير

القنابل وقتل السـائحين فى مصر قالـوا انهم تلقوا أوامرهـم من الشيخ عمر عبد الرحمن وهو يصدر أوامره من نيويورك وليس من طهران .

ثم ان البـاعث للقلق الأمـريكى هـذه المرة ليس عـربيـا كما كـان حينما اعتـدى صـدام على الكـويت ، ولكـن البـاعث على القلق هـذه المرة اسرائيلى صريح .. هو شوكة حماس وحزب الله التى تتوجع منها اسرائيل ويتألم لها الحليف الأمريكى .. وهـو أيضـا تـراكم السلاح فى ايران وهـو أمر لاتـريده اسرائيل فى ايران ولا فى أى بلد اسلامى .

وحينما تـراكم السلاح فى تـرسانـة العـراق من قبل تحرك البنتاجـون الأمريكى كله ولعب بوش بغرور صـدام ليدفعه إلى الكويت ليضربه الضربة القاضية بدعوى تحرير الكويت بينما كان الهدف الحقيقى هو القضاء على تـرسانـة العراق وتحريـر البترول من اليد العـربية واعـادته الى السيطـرة الأمريكية وامتصـاص فوائض الثروة العربيـة من المنطقة وتركهـا فريسة الثأر والأحقاد والكراهية والجراح التى لن تلتئم لمائة سنة قادمة .

كان الهدف اذن هو الصالح الاسرائيلى والأمريكى رغم ان الهدف المعلن كـان الصالح العـربى .. واليـوم تتكرر المسرحيـة بإخـراج جديـد ورئيس أمريكى جـديد هو كلينتون وضـحيـة جديدة هى ايـران .. وليس بيننا وبين ايران ثأر .. وبعـد الدرس الذى أخذناه من حـرب الخليج والجراح والأحقاد والنـزيف الاقتصـادى بلا عـائد .. لن تجد أمـريكـا الزعيم العـربى الـذى يطاوعهـا على هذه المغـامرة الجديـدة ويحرق بلده ويـدمر أسلحتـه ويبدد ثروته فى صراع عقيم بين أهل دين واحد وملة واحدة .

ثم لماذا تصفيـة القوة الاسـلاميـة والسلاح الاسـلامى فى كل مكـان .. ولماذا الاسلام هو الهدف دائما ؟ .

واذا كـانت أمريكـا قد أحجمت عـن الضربة الجويـة للصرب دفاعـا عن مسلمى البوسنة بدعوى أن أمـريكا ليس لها مصلحة .. فلماذا نراها تخطط لضرب القوى الاسلامية الايرانية فى أقصى الشرق .

هل المصلحـة هـذه المرة أكبر وأوثق ، ومصلحـة أمـريكـا أو مصلحـة اسرائيل أو مصلحة الغرب ؟ !

ولكن أين مصلحتنا نحن .. أم أن مصلحتنا غير واردة ؟

ونحن طيبون وسُذج هذا صحيح .. ولكن ليس لهذه الدرجة .

وتاريخ أمريكا منذ نشأتها بدأ بـاغتصاب القارة الأمريكية بقوة السلاح وإبادة من عليهـا من الهنود الحمر ، وقـد ظل طول الـوقت تاريخا تآمـريا ونظامـا تآمـريا .. ومعظم رؤسـاء أمريكـا فى عصرها الحديث خـرجوا من المخابرات وكانوا مديرين نوابغ لـ CIA .. والميثاق الذى جمع بين أمريكا واسرائيل .. كـان ذلك الهـدف الواحـد . التـآمـر على العـالم والاستئثـار بخيراته .

وكلنا سمعنـا الخبر الطائر الـذى جاءنا مـن ايطاليا .. ومـا قالتـه لجنة التحقيق فى الانفجارات الأخيرة فى ايطـاليا من أن الموسـاد كـانت هـى الطرف الذى يورد السـلاح والمتفجرات لعصابات المافيا والألـوية الحمراء .. وانها أرادت أن تثبت بـذلك لحليفها الأمـريكى انها أقدر على الـدفاع عن مصـالح البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا المليئة بالقلاقل والاضطرابات .

وأمريكـا أكثر الدول كلامـا عن حقوق الانسان وأكثر الـدول محاسبة لغيرهـا على هذه الحقـوق ، ومع ذلك نـرى منهـا وجها مختلفـا فى مأسـاة المسلمين فى البوسنة .. وكأن المسلمين الذين يقتلـون هناك ليسوا من جنس الانسان .

وما أكثر الزعماء الذين ركنـوا الى الحضن الأمريكى ثم انتهوا الى الهجر والغدر والطعـن فى الظهر مثل شـاه ايران ونـورييجا ومـاركوس ودفـاليه وتشاوتشيسكو وصدام وموبوتـو .. والبقية آتية .. وكان الغادر فى كل مرة هو الصديق الأمريكى .

أقـول هـذا للـذكـرى .. وحتى يعلـم من لا يعلم .. أخـلاق الصـديق .. ويتحسب أخطار الطريق .

وعن السوق الشرق أوسطية مرة أخرى

كتب أمين هـويدى وزيـر الدفاع الأسـبق كلامـا مهمـاً عـن السـوق الشرق أوسطيـة دق فيه أجـراس الخطـر ونبه الغـافل وأيقظ النعسـان الى المنحدر الـذى يسير فيه الجانب المصرى فى عمليـة بناء سـوق مشتركة على غير أساس .. المفروض أن تتفـق فيها أطراف عربية وأطـراف اسرائيلية هـى بالفعل غير متفقة على أى شىء .. فمشروع السلام فاشل .. واسرائيل تحتل

الأرض العربيـة وتنسف البيوت وتقتـل الأطفال وتطلق الـرصاص على أى صوت يعـارضـها . وقال أمين هويـدى فى صدق وصراحة : إن هـذه السوق التى نواتهـا مصر واسرائيل هى فى حقيقتهـا مقـامـرة بمسـتقبل مصر ومستقبل العرب الاقتصـادى لأنها سوق مشتركـة بين فريسـة وصياد .. بين طامع أطماعه وأحـلامه بلا حدود يـريد أن يهيمن ويسيطر ويتسلط .. وجماعـة عربيـة ممزقـة ضعيفة ومـدينـة ومحظور عليهـا مصادر القـوة والسلاح .

وكيف تقوم شركـة عادلة بين طـرف غاصب محتل لأرض عربيـة بدون وجه حق .. وطـرف آخر لايجد سـوى الطوب والحجـارة والصراخ فى أروقة الأمم المتحـدة .. وكيف يكون لاسرائيل فى هـذه الشركة سهم مسـاو لسهم مصر ، واسرائيل بتعـدادهـا الكلى لاتزيـد على سكـان حى شبرا بينما مصر سـوف تعطى الأرض والأيدى العـاملـة ورأس المال والنفط (الذى تطـالب اسرائيل بأن يصب فى مصـافى حيفا) وأنابيـب المياه التى تريـد اسرائيل ان تشـارك فى التحكم فيهـا .. ثم تظل رافعة لأسلحـة الدمار الشـامل وللقنابل الذرية تهدد بها الجميع .. أى شركة تلك التى يـأخذ فيها طرف كل شـىء ثم لا يعطى الآخـر أى شـىء .. ثم يظل يهدده طـول الوقت بتفـوق سـاحق فى السلاح والمعدات ؟

يقولـون هـى تعطى الخبرة والعلم والهندسـة الـوراثية التى تنبت الفلفل البنفسجى والفلفل الأبيض والفلفل البرتقـالى .. وأقول ذقنـا هذه الخبرة فى خيار بطعم البلاستيك .. وأكلنا دجـاجا من هذه المزارع بطعم القطن الطبى وأكلنا سـلالات من الموز تدهـورت أصنافها وأصبحت بطعم القلقـاس ، ولا أتحدث عن الطماطم التى لا تنتسب إلى مـذاق الطماطم بسبب ، والفـراولـة الماسخة التى فى طعم قشر البطيخ .. ولا أتحدث عن اسطورة القطن المصرى العظيم الذى تحول الى محصول هامشى .. وعن النقص فى محصول القمح الذى يضـعنا تحت أقدام منتجى القمح الأمريكى .

ولا نطعن فى الخبرة الاسرائيليـة .. معـاذ الله .. ولكنـا نسـأل الـوزيـر والزراعى الهمام يوسف والى : لماذا لا ينوع فى الخبرات التى يستعين بها ؟ ، ولماذا يضع الأرض المصريـة والمحـاصيل المصريـة رهينـة للخبرات

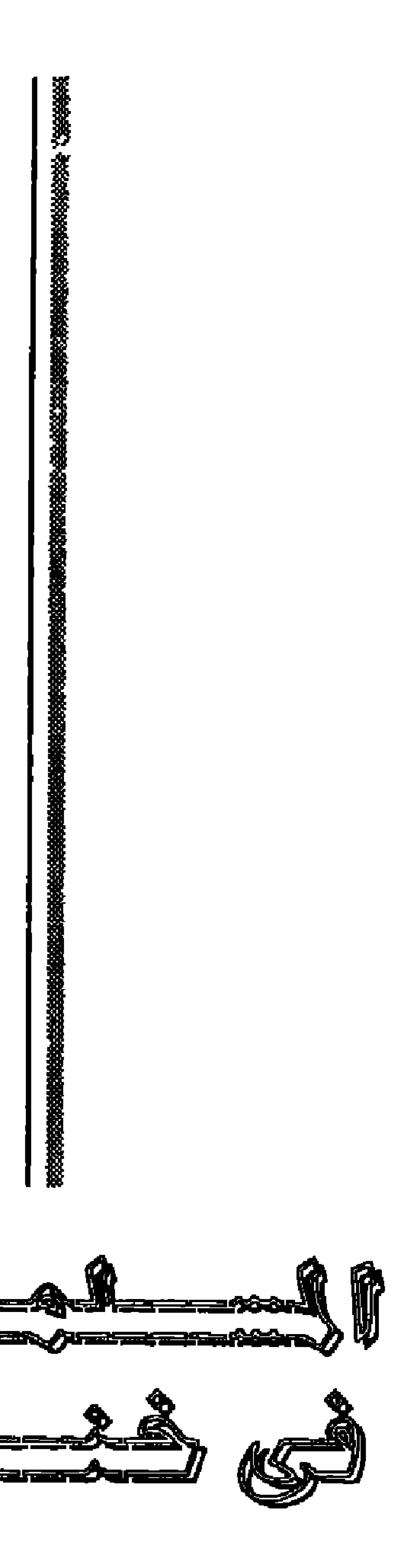
الاسرائيلية وحـدها ؟ يقينا إن اسرائيل ليست العبقـرية الوحيـدة فى الميدان الزراعى .

والثقة التى يضعها وزيرنا فى اسرائيل لاتكفى أساسا لمشروع كبير مثل السوق الشرق أوسطية ، فنحن هنا أمام بناء أمة وسوق عالمية تشترك فيها كل الأمـم ، والمفـــروض أن يشترك مجلس الشعب ومجلس الشـــورى والمجالس القوميـة المتخصصة ، ومصر بكل قيـادات الرأى فيهـا والبلاد العربية صاحبة الشأن فى الرأى والمشـورة .. وأن يكون هناك جو سياسى يـوحى بالثقـة واتفـاق شامل يـوحى بـالأمان .. وأن تتنـازل اسرائيل عن الأرض وعن السلاح الذرى وترفع يدهـا عن القدس .. اما أن تضع يدها على الأرض والماء والنفط وتلـوح لنـا بأسلحـة الموت وتجعلنـا نعيش فى جـو سياسى مكهرب .. فتلك مشروعات ابتلاعية وليست سوقا شرق أوسطية .

وسـاذج من يتصـور أن ورقـة كـامب ديفيـد يمكن أن تحول العـدو الاسرائيلى فى غمضـة عين الى حبيب ، وأن تمحـو التـاريخ وتبـدل النفـوس وتغسل الأرواح .. وصـوت الرصـاص الـذى يحصد أطفـال غزة والضفـة شاهد على صدق كلامى .

وتـرسـانة السـلاح التى تتنـامى فى اسرائيل تنبىء عن عـدو يتحفـز .. وطوابير المهاجـرين التى تتدفق تطلب لنفسها أرضا ومياهـا ومجالا حيويا تعمل فى داخله .. تعبىء الجو بـالتوتـر والتربص ولا تبدو تمثيليـة السلام التى تقودها أمريكا جادة ولا مقنعة .

وعملية سلق مشروع سوق شرق أوسطية فى هذا الجو أمر سابق لأوانه ونريد أن نفهم أولا الى أين نسير .. أو الى أين يسار ربنا ؟!



المسلمون
في خندق

أفكـر دائما وأسأل نفسى وأتسـاءل : لماذا لم يحقق الله حلم الإخـوان المسلمين بالـوصول الى السلطة.. أليسـوا رجالـه.. لماذا أطلق عليها ذئاب عبد الناصر.. ولماذا فعل نفس الشيء فى حـزب النهضة الاسلامى فى تونس فترك الغنـوشى وأتباعـه لمباحث زين العابـدين بن على ومن قبلـه للحبيب بورقيبة.. وفى الجزائر أحبط آمال الحزب الاسـلامى للإنقاذ وهو على وشك الفـوز بـالحكم.. وفى المغـرب لم يكن حزب العـدل والاحسـان الاسـلامى بأحسن حظا من اخوته ، وفى سـوريا وفى العراق لقى الاخوان مصيرا أسوأ على المشانق والمقاصل وفى ظلام الزنازين..

لماذا لم يستخلفهم ربنا كما وعـد فى قرآنـه : «وعد الله الـذين آمنوا منكم وعملـوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبـدلنهـم من بعـد خـوفهم أمنـا يعبـدوننى لايشركـون بى شيئـا » (٥٥ ــ النـور) أم أن شروط الآيـة لم تتوافرفيهم ؟ .أكاد أرى من هذه المحنة القدرية التى تكررت مرة بعد مرة .. ان الله يفضل لـلاسـلام أن يحكم من خـلال أشواق النـاس وضمائرهـم على أن يحكم من خلال جماعـة تصل الى السلطة بالقوة .. وانـه يريدللمسلمين أن يسلموا اليـه أحرارا وأن يقدمـوا عليه اختيارا بـوازع من نفوسهم وليس بوازع من كربـاج الحاكم .. يريد للاسلام أن يكون وعيـا شخصيا وفرديا لا أن يكون قالبـا اجتماعيا صنعه الرعب . لايريـد الله للاسلام أن يأتى على ظهور الـدبابات ولا أن يجى انقلابـا مثل النازية والفاشيـة والبلشفيه كما رأينـاها تأتى فى المانيـا وايطاليـا وروسيا .. وانما يـريده اقتنـاعا وايمانـا وتطـوعا ومحبـه . وقـد جـاء النبى (بلفظ القرآن) .. داعيـا الى الله بإذنـه

وسراجا منيرا . فـالاسلام دعـوة لاثورة واستنـارة لاانقلاب . والله يعلم أن كراســى السلطة تغير الناس وتمسخ نفـوسـهم .. وما كـان لحاكم أن يصل الى الحكم دون اذن من الله ، فهو سبحانه ملك الملوك الذى لايتم على الأرض شىء بدون مشيئتـه . والله يقول : « واتقونى ياأولى الألبـاب » لم يرد ربنا أن نتقى الحكـام ولا أصحـاب السلطـان .. ولقـد أخطأ التنظيم الأخـوانى حينما تحول من دعوة حـرة الى تخطيط صريح سرى ، ثم إلى تخطيط يتخذ العنف سبيـلا للوصـول الى السلطة .. فبـدأ العد التنـازلى لنهايتـه من ذلك التـاريخ . والله يعلم أن الفضيلة لايمكـن أن تأتى بقراروزارى ، وأن العفـة لايصنعها مرسوم ملكي ، وأن تقوى القلوب لن يحققها دستـور . والله يريد تقوى القلوب لاتقوى الألسن ولانفاق الكلمات. الله يريد أن يكون ضميركل منا هـو حكومته.. ولا يـريد أبدا أن تكون ضمائرنـا مكبلة فى يد جبـار ولو كان هذا الجبار حاكما اسلاميا ولو كان نبيا ، ألم يقل لنبيه:

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال له:

« وما أنت عليهم بجبار » .

فإذا كان الله لم يـرد لنبيه أن يكـون جبارا وهـو الذى وصفــه بأنه على خـلق عظيـم.. فكيف يطلق علينـا بـاسم الاسلام جبـارة مـن سواد البشر العاديين.

ليت أعضــاء الجماعـات الاســلاميـة فى كل مكـان يكفـون عن تطلعهم للسلطـة ، ويكتفـون بالـدعـوة الى الله على بصـيرة.. والى تحبيب النـاس فى الاسلام بأن يكونوا هم أنفسهم قدوة ومثالا وأسوة.

ولـو فعلـــوا ذلك لاختلفت الصـورة ولجنبـــوا أنفسهم الكثير من الفتن ولجنبوا الاسلام هذا الصراع الدامى الذى يهلك فيه الكل.

ولو أدرك الحكام أن صولجان الملك هـو قبس من جهنم لما تسابقت اليه الأيدى.

ألم يعرض الله الأمانة على السمـوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانســان؟ فماذا قال الله بحقه؟ قال:« إنه كـان ظلوما جهولا ». فقد ظلم نفسه وجهل حدوده حينما تصور أنه قادر على حمل تلك

الامـانة.. وهى المسئـوليـة والحكم فى الارض خليفة عن الله.. وهـو الجاهل بمقدرات يومه وغده.

أى عــروش من جهنم يجلس عليهـا أمثــال ميتران وجـون ميجـــور وكلينتـون ويلتسين؟؟ حينما يطلقـون جميعـا يــد سفـاح الصرب ليـدك سراييفو با المدافع والصواريخ ويحيل سكانها الثلاثمائة ألف الى أكبر مقبرة فى التـاريخ.. ثم يضـغطون على الأمم المتحـدة حتى لاتسمح للمسلمين بأى مدد من السـلاح يدافعـون به عن أنفسـهم !! أى كـراسى من أصل الجحيم يجلس عليها هؤلاء الناس ليحكموا بـا لموت والحياة وليوقعوا مراسيم الظلم والقهر والبؤس والعذاب على الملايين بغير ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله.

ويظن كل منهم ـــ وهو جاهل ـــ أنه بذلـك يعلى من شأن مسيحيته أو ينصر قوميته وهـو يخونها ويخون إنسانيته ويخون ديانتـه ويخون ربه ويهلك نفسـه.

« ولكن أكثر الناس لايعلمون »

بل هم كالأنعام بل هم أضل.

والحمد الله أننـا لانجلس على هذه الكـراسى.. ولانفكر أبـدا فى الجلوس عليها.. ولا فى الاقتراب من أهلهـا.. ولا فى مداهنـة أصحابها.. ليس تـواضعا ولكن وعيا وادراكا وخوفا والحمد لله.

وأرجو أن نظل مـدركين لعجزنا وقصـورنا طول الـوقت ، وأن يديم الله علينا رحمته تلك.. فمن أعظم نعم الله على العبد أن يعرفه بحدوده.

اعـرف عـدوك

بادرت أمريكا الى تهديد الصين بفرض العقـوبات الاقتصادية عليها اذا مضت فى صفقـة بيع الصـواريخ لباكستـان . وبـاكستـان لاتهدد أمريكـا ولاتهدد مصالحهـا وإنماهى مجرد دولة اسلاميـة تريـد أن تحمى نفسـها من الجار الهنـدى .. ومذابح المسلمين على يـد السيخ والهندوس نقـرأ عنها كل يوم . ولكنه محظور فى هذا الزمـان يأخوه على أى بلد اسلامى أن يدافع عن نفسه أو يحمى بيته ولو تعرض للذبح والتشريد والإزاله .

وليبيا ضربت بالطائرات لمجرد شبهـة فى أنها تصنع سلاحا كيميائيا ..

والعراق تضرب كل يوم بالأحذية بالإضافة الى الصواريخ لأن هناك شكوكا فى بقايا سـلاح هنا وهناك .. وايران تهدد بالويل والثبـور وعظائم الأمور لأن هناك شـائعات بأبحـاث نوويـه طى الكتمان .. واذا كان لابـد من بيع شيء من فـائض السلاح للخليج (لتشغيل المصـانع الأمريكية وحـل أزمة البطالة) فالتعليمات تقضى بأن تكون الأسلحـة درجة ثالثه ومن فضلات المخـازن التى مضى أوانها .. أمّا الحبيبة اسرائيل فلهـا رخصـة مفتوحـة بـالعدوان المستمـر على جـاراتها وعلى دك القـرى اللبنانيـة والفلسطينيـة بـالقنـابل كل يـوم رغم قـرارات الأمم المتحـدة .. ومعهـا رخصـة لتعليـة ترسـاناتها النـووية والكميائيـة والميكروبية والتقليـدية .. وأكثـر من هذا تحول اليها أمريكا فوائض ترسانتهـا العسكرية لتخزينها فى أراضيها .. ثم أكثر من هـذا تحاط علما بكل جديد وسرى من المخترعـات المتطورة .. وبكل سرى وجـديـد فى استطـلاعـات الأقمار الصنـاعيـة الامـريكيـة وأدوات الاستشعـار عن قـرب وعن بعـد . ولا تفسير لهـذا الكـرم الحاتمى والتـوسعـة من الجانـب الأمـريكى لـلأخت اسرائيل فى مقـابل الاذلال والتضييق والحصار لكل بلد اسلامـى واباحة دم المسلمين لكل معتد الا أن يكون فى المخطط الأمريكى اعطاء المنطقـة العربية (شـقة تمليك) للعـزيزة اسرائيل (المنطقة العربية كلها بمافيها من بشر وبقر)

●●●

ولا أظن أن أمريكا سوف تعرض نفسـها لصراعات لاتنتهى مع ٤٧ دولة اسلاميـة على اتساع رقعة العالم فى محاولـة لملاحقة أى انتفاضة اسـلامية هنا وهناك . ولاشك أن المضى فى صناعـة ٤٧ مشكلة مع ٤٧دولة اسلامية لأن هـذه تشترى صواريخ وتلـك تبتاع غـواصـات وتلكما تتساومـان على امتلاك قـاذفات قنـابل .. سـوف يؤدى الى صداع مـزمن للعـزيزة أمـريكا وتبـديد للـوقت هى فى غنى عنـه . ومن بـاب الاقتصاد البحت .. اقتصـاد الوقت .. واقتصـاد المال .. واقتصاد الجهد العصبى .. سوف تفكـر أمريكا وربيبتهـا اسرايئل ومعهما المعسكر الاوروبـى كله (وعـداوتـه للاسـلام ظهـرت فى مذابـح البوسنـة) .. سـوف يفكر الكل فى معـالجة المشكلـة من

رأسها بحل نهائى . ورأس الاسلام هو الكعبة المشرفة والحرم النبوى الشريف والمسجد الاقصى . وقطع الرأس وكسر عين المسلمين كلهم فى عملية واحدة سوف يوفر الكثير وينهى المشكلة ويخلص العالم من الصداع الاسلامى الذى يؤرقه (والصواريخ يمكن أن تطول من بعيد أى شىء) وهذا الكلام يوافق مزاج أهل التلمود وأحلام يهود البروتوكولات .والانتقام لما فعله النبى باليهود فى خيبرموجود فى كتبهم وهو منتهى أملهم . ترى هل يفكر الحكام فى المملكة العربية السعودية فى هذه الاحتمالات أم يرونها هذيانا؟!! مجرد سؤال .. ؟ !! والذين يقولون إن امريكا لايمكن أن تقامر بالبترول فى سبيل أى هدف .. اقول لهم : ومن قال أنها ستقامر بالبترول.. الا يقع بترول المنطقة كله الآن فى يدها وفى منطقة نفوذها محاطا بقواعدها وبوارجها وفى مجال اسطولها السادس ؟!! والذين يقولون أن امريكا والدول الأوربية لايمكن أن ترتكب أمثال تلك الحماقات .. أقول لهم .. وضرب سراييفو وشعبها الاعزل وتحويلها الى مقبرة على مشهد من العالم .. أليس حماقة ؟؟ ! وضرب العراق بالصواريخ على مؤامرة وهمية لم تحدث أليس حماقة .. وتهديدها بضربها مرة أخرى بالصواريخ اذا لم تضع الكاميرات هنا وهناك فى ارضها وبيتها أليس حماقة ورزالة ؟! ونزول امريكا على شاطىء الصومال فى بعثة احسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس سفالة .. واستباحة الاراضى اللبنانية لقنابل وطائرات اسرائيل أليس اجراما .. ألا نعيش فى عصر النذالة والاجرام قولا وفعلا ؟؟ !! الم يحاولوا حرق المسجد الاقصى من قبل ؟ ! مجرد سؤال للتفكير وتقليب وجهات النظر .. ؟ !! والاحتياط للبلاء قبل نزوله واجب ، وما فعله جيش أبرهة قبل أربعةعشر قرنا من الزمان.. ممكن أن يحدث مرةأخرى بأدوات اكثر بطشا ، وهناك صواريخ الآن ممكن أن تدمر بأكثر مماتفعل أفيال الحبشة. وهناك الآن من هم أكثر عداوة للاسلام من أبرهة وقومه . ويقول ربنا : « قد بدتِ البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١١٨ .. آل عمران) وهو مانراه بالفعل .. ونقرؤه فى الصفحات الأولى من جرائد كل يوم .. اننا أمام غطرسة عجيبة وغرور بالقوة وزهو

بامتـلاك الأسباب .. وأمــام ازدراء مهين لشأن المسلمين واحتقار لـديانتهم لايعرف حدودا وأمام علمانية غليظة صفيقة لاترى لله قدرا ولا للغيب دلالة .. وهى ملامح زمــان جاهلى ردىء وطابع حضــارة مادية متبجحــة توجت على عـرشها داعـرة محترفـة اسمها مــادونــا ورفعت على صاريتهـا العلم الأمريكى .. فهل دار الزمان دورته وأصبحنــا على مشارف معركة الأحزاب مرة اخرى والمسلمــون فى خندق .. والصورة جرى تكبيرهــا عن ايام النبوة مليون مرة بمقياس العصر ..؟!!

وقد تـداعى علينا أهل الشرك وأهل الكفـر بإيعاز من يهود ليستــأصلوا شأفتنا فمن لنا بالريح العاصف والطير الأبابيل ؟!!

وهل يأتينا ربنا بمعجزة ..؟!!

وهل يجىء الله بجنوده إلا حينما نحتشد نحن بجنودنا ؟!!

اقـول نحتشـد فقط .. ونضع اليـــد فى اليـد والقلب فى القلب ونتقـارب ونتسـاند ونتماســك ونجمع كل مانملـك من قوة ومــال لنـواجـه به هـذا الطوفان من البغضــاء ونواجه الأزمة القادمــة .. أزمة أن نكون أو لانكون . وذلك أضعف الجهاد

●●●

والجهــاد يقترن دائما فى ذهن القراء بــإعلان الحرب على اسرائيل وهــو ماتتمناه إسرائيل وتحلم به وتحاول أن تستدرجنا اليه بكل الوسائل .

وقد رأينــا كيف ردت على بضعة صــواريخ كاتيـوشا أطلقت عليهــا من الجنوب اللبنانى بتدمير الجنوب اللبنانى كله ودفع نصف مليون لبنانى فى رحلة فـرار الى الشمال وتفريغ ألـوف الهكتارات من الأراضـى مـن سكانها خلال سبعــة أيام من الضرب المتصــل (٣٥ ألف قذيفــة دمرت ٧٥ مـدينة وقرية) .

والشراسة والعنف والتحدى الذى اتسم به ذلـك العدوان الفاجر.. كانت اسرائيل تقـول بــه لنــا جميعـا : هلمــوا إلى.. هل من مبــارز.. هل من رجل يتقدم..؟!!

ولا شك أن اسرائيل لا تـريـد أى ســـلام بل على العكس تـريـد الحرب

وتتعجل تلك الحرب ، لأن الزمن زمـانها والرياح تهب على هواهـا.. فالدول العربيـة منقسمة على نفسها لا تجتمع لها كلمـة والقواعد الأمـريكية تجثم على أراضيهـا والفقر والـديون والمشـاكل تجثم على أكثرهـا ، والدائن هـو أيضـا السيد الأمـريكى.. والعـراق تحت الحذاء الأمـريكى وليبيا مطـاردة ومطلوبـة للتحقيق وسوريا مهـددة بأنه لها مـاض فى الارهاب.. والمجتمع الدولى كلـه فى صف اسرائيل.. والكل فى جيب أمريكـا التى انفردت وحـدها بالعـالم تفعل به ما تشـاء وقد اختصت اسرائيل وحـدها بالحب وبـالدعم المادى والمعنوى والعسكرى وضمنت لها التفـوق فى العتاد الحربى على كل الـدول العـربية مجتمعـة وضمنت لها جسـور تموين مفتـوحـة فى جميع الأوقات.

وفى مثل تلك الحالة من عـدم التكافؤ تصبح أى حـرب نزهة مضمـونة بـالنسبـة لاسرائيل ،ولهذه الأسبـاب مجتمعـة تتمنى اسرائيل أن نبـدأهـا بعدوان.. أى عدوان ولو بضعة صواريخ كاتيوشا.

وفى الحقيقـة إن من يحارب اسرائيل الآن سـوف يحارب امـريكـا ذاتها وربما الأمم المتحدة معها.. ولهذا فالجهاد عندى له معنى آخر فى هذا الزمن الـردىء.. أنه الصبر والمصـابـرة وبناء القـوة الـذاتيـة وتنمية الاقتصـاد واصلاح التعليم وبناء سد بشرى فى سينـاء بتعميرها وجمع الكلمة العربية فاذا لم تجتمع فيكفى أن تجتمـع سوريا ومصر فـهـذا الثنائى هـو الكماشة التى كانت دائما قادرة على تغيير التاريخ.

وأول بند فى القوة الـذاتية هو تطوير الصواريخ بأنـواعها ونظم الرادار المتنقل واستيراد الخبرة المطلوبة فى هذه الأسلحة من جميع مظانها.

ثم الجهـاد الـدبلـومـاسي لنفتـح لنـا نـوافـذ على الصين وعلى الـدول الاسيوية.. والتنسيق مع أيران فى المواجهة التى تستهدف الوطن الاسلامى كله.

ثم الجهاد الاعلامى لاحباط التآمر والفتن.

ثم الجهاد الأخلاقى واصلاح الحال مع الله وطلب المدد منه.

لقـد قـال نبينا العظيـم لمن جـاءه يبكى يـريـد أن يـذهب ليقـاتل مع المقـاتلين: ألك أم ؟

قال الرجال.. نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فجاهد فيها.. بهذا المعنى يتسع معنى الجهـاد فيصبح الابن الـذى يكـافح ليطعم أمـه ويخدمهـا ويـرعـاهـا فى شيخوختها مجاهدا، كالذى يخرج للقتال فى الغزوات.

بل إن جهـاد النفس هـو فى ديننـا الجهـاد الأكبر ، وفى الحروب اختيـار التوقيت هو أساس النصر.. والحكمة هى أداة الغلبة.

والـوقت الآن ليس وقتنـا والجهـاد بـالسـلاح لم يأت أوانـه.. ولكن لن يطول الانتظار فسوف يتغير اتجاه الرياح.

والـذى بيده تصريف الـرياح وهـو ربنـا تباركت أسماؤه سـوف يغير اتجاهها.. فلن تظل أمريكا على القمة ولن يظل اقتصادها على القمة فأمريكا بناء عظيم ولكنه يتـآكل من داخله وهى فى شيخوختهـا وليست فى صباها.. ودوام حالها أصبح من المحال.

وقد أرانا الله اياته فى روسيا التى أمـاتها وهى واقفة وعلى ظهرها قنابل تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات.

ورأيناها تزحف وتتسول ويحارب بعضها بعضا ويأكل بعضها بعضا.

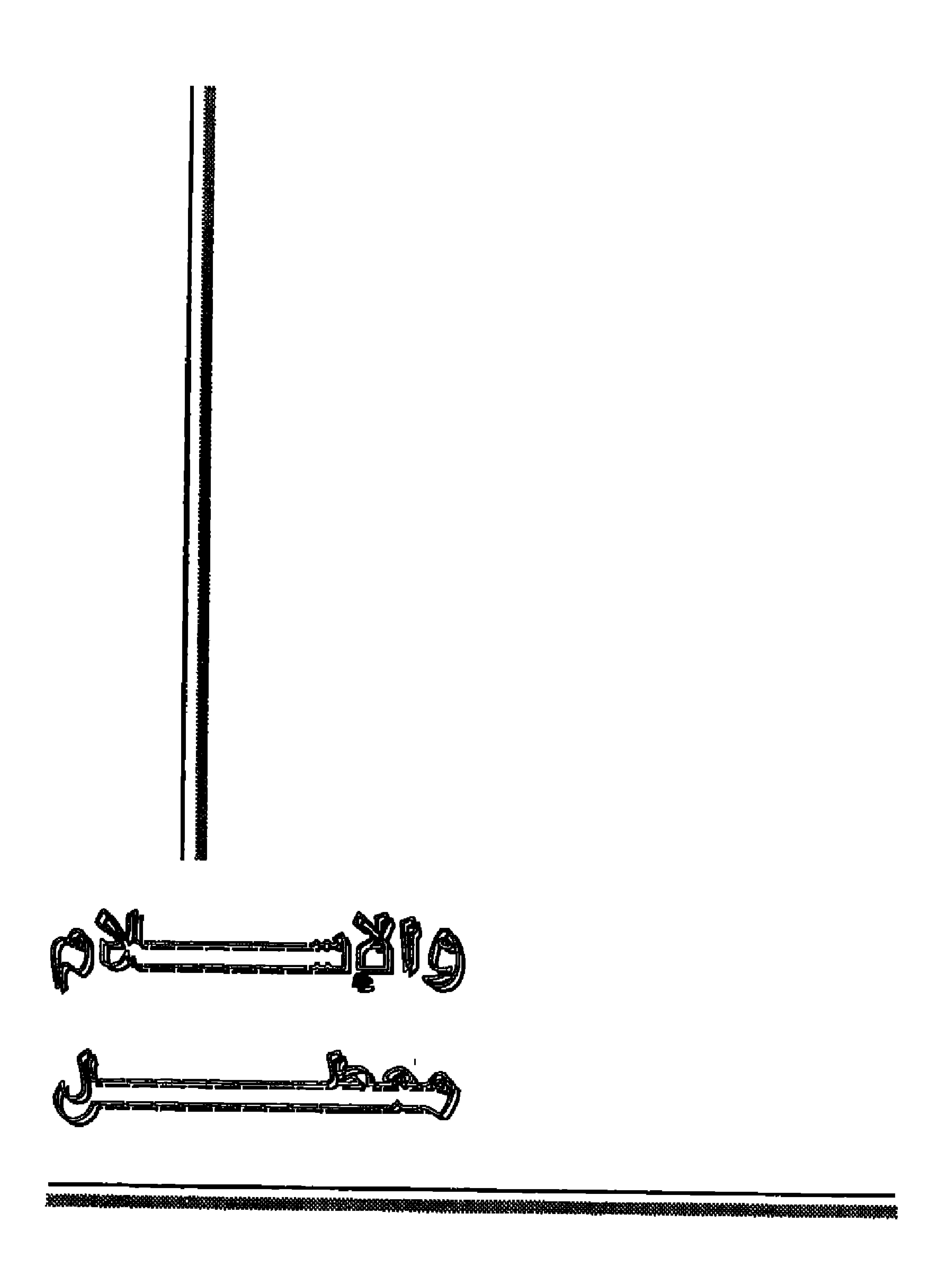
حدث كل هذا دون أن تطلق عليها رصاصة من عدو.

ان معنى الجهاد فى الاسلام واسع وعظيم.

فلنجـاهد أولا فى أمنـا مصر فإذا نجحنـا جاهـدنا فى الأم الأكبر.. الأمـة العربية.. ثم الأمة الاسلامية..

وثقوا بالنصر.. ولكـن النصر له سننه.. وله خطـواته.. وسوف يجىء فى وقته.

فلنبدأ حربنـا خطوة خطوة وكل خطوة بمـواصفاتها.. وعلى مهلكم.. ولا تعطوا اسرائيل سـلاما ولا حربا ولا سـوقا شرق أوسطية ولا أمنا ولا أمـانا ولا تنهوا مقاطعتكم لمنتجاتها.



والإسلام
ومطل

لا وجه للمقارنة بين الصفقــة التى حققها السادات للفلسطينين فى اتفاق كامب ديفيد وبين الصفقة الضئيلــة التى ارتضاها الفلسطينييون لأنفسـهم فى اتفــاق غزة أريحا .. فى الأولى كــانت الأرض المحتلــة كلها لهم يحكمــونها حكما ذاتيا .. الضفــة والقطاع والقدس الشرقيــة ، وكان طـريقهم الى اعلان دولتهم مفتوحــا .. واليوم تلقى اليهم اسرائيل بغزة التى ضـاقت بمشــاكلها وبقريــة أريحا مع شروط مشددة .. لا للانتفاضــة .. لا للعنف .. ولا للكلام عن دولة فلسطينية ..ولا للكلام عن القدس .. فيوقـع ياسر عرفات راضيا الى جوار توقيع رابين وهو فرح فخور ..

وبــالأمس رفضــوا صنيع الســادات واعتبروه خائنــا وامتـدت الأيـدى الفلسطينية لتقتل يـوسف السباعى لأنــه كان يمشى فى ركابــه .. ثم امتدت أيـد ضالــة مجرمة لتقتل الســادات .. وسقط البطل وهــالوا عليــة التراب .. ورقصوا فرحا لمقتله واليوم يعرفون مقداره ..

وكــان السادات يفــاوض من مــركـز قوة ومن ذروة انتصــار .. أمــا هم فكانوا يفاوضـون من حضيض انكســار صاحبهم صدام حسين ومن كارثة تمزق عربى وانفجــار أحقاد عربية عـربية لا آخر لها ، ومن هاويــة افلاس مادى ولم يكن ممكنا أن يحققوا أكثر من هذا الكسب الضئيل .

واليــوم لو انطلق الـرصاص الفلسطينى فســوف يرد عليـه الرصــاص الفلسطينى بحكم الاتفــاق .. وســوف يقـومـون بتصفيــة بعضـهم البعض بالنيــابة عن العـــدو الاسرائيلى فهم حـراس الأمن بحــكم الـوثيقــة التى وقعـوا عليها .

لقــد تلقوا درســا تاريخيا .

ولا نبكى على اللبن المسكوب .. فما حـدث قد حدث ونحن أبنـاء اليوم .. والخروج بشىء أفضل من الخروج بـلا شىء .. وفلسطين أولا وأخيرا هى شأن فلسطينى .. وعسى أن يتفقـوا على هذا القليل وتتحـد كلمتهم وتلتقى منظماتهم .. وأول الغيث قطـــرة .. والهمم اذا اتحدت تصنـع المستحيل .. ونحن معهم على ما أرادوا .

ولكن لكل مقـام مقال .. وهنـاك متغيرات قـد استجدت بهذا التـوقيع .. واسرائيل باعترافها بمنظمة التحريـر قد غيرت من استراتيجيتها وبدلت من خططها تمامـا .. واذا تم الاتفاق مع ســوريا ولبنـان والأردن بنفس السرعة والسهـولة التـى تم بها الاتفاق مع الفلسطينيين ، فإن اسرائيـل تكون قـد القت سـلاحهـا مـؤقتا .. وتكـون خطتهـا للمستقبل قـد أصبحت هيمنـة اقتصادية ..

تطبيع فورى والغـاء للمقاطعـة .. ونشترى ونبيع للجميع وسوق شرق أوسطية والمال اليهـودى والعلم اليهودى والاقتصاد اليهـودى ، المتفوق فى سبـاق حر مع المال العـربى والعلم العـربى والانتاج العـربى .. والشاطـر يكسب .. واذا لم نكن على مستوى اللعبة فالنتيجة معروفة .

فـاذا أضفنا الى هـذا أنشطـة أخرى خفيـة تـدبـر من الآن .. بارونـات المخـدرات ينتقلون الى جنـوب لبنـان وأوراق الكوكـا تستـورد من أمريكـا الـلاتينيــة ليستخلص منهـا الكـــوكـايين ويصنـع « الكـراك » القـــاتل .. والخشخاش يزرع ويستخلص منه الأفيون والمورفين ويصنع الهيروين .. يحدث كل هـذا تحت الحماية الاسرائيليـة .. والهدف هـذه المرة هو اغـراق مصر والسعـودية والعـراق بالمخـدرات ، هـذا مع مخطط آخر يجرى منـذ شهـــور هـو ضرب السيـــاحـــة والاستثمار فى مصر بمسلسل التفجيرات ومسلسل حـرق المصانع فى العـاشر من رمضان وكلهـا جرائم ذات هـدف سياسى لإفقار مصر وتدمير قدرتها على المنافسة .

يحدث كل هـذا خلف واجهة الســلام والصداقـة المتبادلـة وتصريحات المودة وكامب ديفيـد وغزة وأريحا وهــذا هو نوع السـلام والسوق الشرق أوسطية والتعـاون الحر والانفتاح الـذى نحن مقبلون عليـه ، واللعبة ذات

الوجهين التى ستلعبها اسرائيل والمخابـرات الأمريكية فى المنطقة .. سلام فى الظاهر .. ومكائد وافساد فى الخفاء لإنهاك المنطقة واستنفاد طاقاتها .

هل تنتبـه جميع الأطراف العـربيـة وتشترط فى جميع اتفاقـاتها تطهير المنـاطق تحت السيطرة الاسرائيليـة والعـربية مـن مزارع المخـدرات ومن مصانع الهيروين والكوكايين .. ؟؟

وهل تفتح أعينها على الـوجه الآخر من اللعبة .. جانـب الإفساد والمكائد والفتن والعمل من وراء الكواليس .. ؟؟

إن افتراض حسن النية فى هـذا العالم أمر غير وارد .. واليهود كـانوا الى عهـد قريب أقليـة مضطهدة وفى مـواجهـة الأغلبية من حـولهم لم تكن لهم وسيلة للمنافسة والغلبة سوى هـذه الأساليب الملتوية والمكائد الخفية التى اتقنوهـا وتفوقـوا فيها .. ومازال يهود اسرائيل أقليـة فى بحر من الأكثـرية العـربية .. ولن تتخلى اسرائيل عن مكـائدهـا واساليبهـا الخفية أبـدا فهى وسيلتها المضمونة للغلبة فى مواجهة الكراهية التى تظن أنها تحاصرها ، إن تخزينها لترسـانة نوويـة من مئات القنابل الذريـة والصواريخ وترسـانة أخرى كيماوية وثـالثة ميكروبية يدل على سـوء نيتها ويشهد بأنها تفترض دائما أسوأ الفـروض .. وعلينا أن نفهم هذه العقلية ونتعـامل معها كما هى ولا نفترض صداقة وهمية أو محبة خيالية .

والنظام العـالمى الجديد هـو مسرح للظلم وحلبة للفـوضى والاستغلال والانتهازية وأمـريكا ومن ورائها اسرائيل تريـدان لنفسيهما نصيب الأسد من الكعكة ولو هلك هذا العالم عن آخره .

فاذا كـان لابد لنا أن نلعب لعبة الســلام فلنلعبها بمواصفاتها العـالمية الأمريكية .. يد تصافح واليد الأخـرى على المسدس ، فهكذا رأيناها فى أفلام رعـاة البقـر الأمريكيـة ، وهكـذا رأينـا مسلسلاتها تجرى أمـامنـا الآن فى البوسنة والهرسك وفى الصـومال وفى جنوب افريقيـا وفى انجولا وفى ليبيريا وفى نيجيريـا وفى كشمير وفى بورمـا وفى العراق وفى كـردستان وفى جنـوب السودان وفى كل منطقة ملتهبة من العالم .

وعـالم النفس اليهودى فـرويد لـه فلسفة يقـولها فى كل كتبه : ان هـذا

العالم غـابة انت فيها .. آكل أو مأكـول .. ولا يوجد احتمال ثـالث .. فاختر أيهما تكون .

●●●

والاسلام فى هذه الغابة هو كلمة الله الـداعية الى المحبة والرحمة والرأفة والمروءة والنجدة والأمانة والعدل وكفالـة حرية الاختيار لكل مواطن ، وهو لايفرق بين جنس وجنس ، ولابين لـون ولون ولا يتفاضل عنـده الناس الا بالتقوى والخلق والعمل الصالح ..

والاســلام يعلمنـا اننـا مخلـوقـون لحيـاة محدودة ثم نمـوت ونبعث ونحاسب .

وكذلـك تدعو جميـع الأديان السماوية الى نفس الـوصايـا ونفس القيم ونفس الأخلاق ونفس المبادىء ، ومنذ آدم والنـاس يعلمون انهم مخلوقون ليحيوا لآجال محدودة ثم يمـوتون ويبعثون ويحاسبون .. ونجـد مشاهد الحساب والميزان فى مقابر الفراعنة وأهراماتهم .. ومع ذلك فلا أحد يعتبر .. والغـابة مـازالت غـابة .. بل إن وحـوشها يـزدادون تـوحشا ويصنعـون لأنفسـهم مخالب ذرية وأذرعـا كيمائية وأرجـلا ميكروبيـة يبطشـون بها .. ونرى فى البوسنة من يقتلون باسم الدين والدين من جرائمهم براء ..

ويسـأل السائلون دائما : ولماذا المسلمـون متخلفون وفى الذيل من دول العالم ولماذا هم أكثـر الدول تأخـرا وضعفا رغم كثـرتهم ورغم ثرواتهم ؟! فأقول : لأنهم فهموا اسلامهم فهما خاطئـا .. فهموا الاسـلام على أنه تواكل واعتزال وزهد وسلبيـة وخضـوع وخنوع واسقاط للتـدبير ، فكل ما يحدث أمـامهم من ظلم فهـو قدر الله .. ولا يجوز الاعتراض على قـدر الله .. فهمـوا الاســلام على أنه استســلام للمخلـوقين ولقهـر الظروف ولظلم الطغـاة .. وأسمـوا كل ذلك قـدرا لايصح الخروج عليـه ، وأن الله هـو الفـاعل وليس للمخلوق فعل ولا عمل .. الا التسليم والرضـى .

وآخرون منهم تجمـدوا على النصوص وتحجـروا على الألفاظ وتـوقفوا عند سلفيـة محدودة مقفلة داخل ظروفهـا وتاريخها فـدخلوا كهفا حيـاتيا باختيارهم وأصبحوا حفريات دينية .

والمسلمون أكثـر الناس تـلاوة لكتابهم تـرتيلا وتجويـدا ولكنهم قعود دائما وفى حـالة سكـون لا يتقدمـون .. يقرأون كتـابهم بعيون الموتى فـلا تطلق فيهم الآيـات قوة دافعـة للحركـة والعمل والبحث والاختراع .. مع أن القرآن كتاب حركة وعمل .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وفى كل آية أمـر بالسير والنظر والحركـة والتفكروالتـدبر والتأمل ، وفى الاسلام ديناميكيةوايجابيـة وحض على العمل والسفر والسياحة فى الأرض والبحث العقلى .. فنـراهم يتركـون كل هـذا ويختارون الاعتـزال والخلـوة والانقطاع للتسـابيح والصلوات .. والصـلاة مطلوبـة والتسابيح مطلـوبة ولكن مطلوب بعدهـا أن ننطلق فى الأرض لنبتغى من فضل الله .. ولقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فـرسه غازيا يدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الافريقى ثم استمر حتى بلغ أقصى الغـرب فلماذا لا نأخذ هذا المثال الحركى .. ولماذا لانرى فى كتابنا تلك القوة الدافعة التى شعر بها ذلك الـرجل السلفى الفطرى ، ومثلـه ابن خلـدون وابن بطوطـة .. بل ان الملاح الذى قـاد سفينة فاسكـو ديجاما الى الهنـد عبر رأس الرجاء الصـالح كان عربيامسلما .. والذين رسموا الخرائط الجغرافية الأولى للقارات كانوا علماء مسلمين مثل الادريسى والاصطخـرى والقـزوينى والبلخـى والمستـوفى والمسعودى وابن حوقل .. فلماذا لا نأخذ هذه المثل السلفية ؟ . ولماذا لانقف الا عند اللحية وتقصير الثوب والسـواك والأكل بالأصبع والسروال والنقاب الى آخر هذه الشكليات التى لاتقدم ولا تؤخر ، ولماذا هذا القعود والسكون والسلبيـة والرجعيـة فى دين يأمـر بـالحركة والعمـل والانطلاق فى أرجـاء الأرض ؟ ولماذا يذهب أصحـاب مذاهب التنـوير الى تنـوير آخر مـريب عن طـريق التشكيك والتغـريب والعلمانيـة .. ينتهى بنـا الى الخروج عن الملـة بالكلية .. ولماذا لاترى عيونهم التنوير الباطن بالفعل فى كل آية ؟.

والقرآن نفسه كتاب تنوير من أول آيـاته .. اقرأ باسم ربك الذى خلق ..

أمر صريح بـالقراءة وطلب الاستنـارة والاستدلال على طـريق الخير باسم الرب الخالق الذى خلق .

لم يفهمـوا كل هذا وتعـاموا عنـه وطلبـوا التنويـر من ديكارت وهيـوم وأوجست كـونت .. وكـان تنـويـرهم يبـدأ دائما بـرفض الإســلام نفسـه والتشكيك فيه وفتح الباب لغزو ثقافى غربى يأتى ومعه آلته الاستعمارية .. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسى وطه حسين وبقية الطائفة .

أما بقية المسلمين فقد استراحـوا الى الكسل والتواكل والسلبية والجمود ولم يفهموا من القرآن الا ما تهوى نفوسهم العاجزة التى لا تريد أن تنهض لأى عمل .. وهكذا ضاعـت حقيقة القرآن وجوهره من أيـدى أهله ولم يتبق منه إلا حواشيه .

والحقيقـة ان الاسـلام ظل معطـلا منـذ مئـات السنين ولم يـدخل فى التنافـس الحضارى الموجود .. الاسـلام مبعد ومعتقل بين دفتـى القرآن .. ومنذ الـوثبة الأولى فى أيام النبى عليه الصـلاة والسلام وخلفائه الـراشدين تراجـع الاسلام عن المنـافسة وتقوقع فى المسـاجد والصـوامع واختفى فى المراجع وانـزوى فى قلوب القلـة من العارفين .. وضرب الاستعمار حصـاره حول الدول الاسـلامية ودخلها غازيا ومخربـا وناهبا ومشوهـا لكل ماهو اسلامى .. ومـازال التخريب مستمرا .. وآخـر حملاته هى مايفعلـونه الآن بإلباس الأصولية الاسلامية ثـوب الاجرام والارهاب وتقديم عتاة المجرمين على أنهم طـلائع الأصوليين المسلمين .. وفى هـذه الدوامـة من خلط الأوراق وتزييف الحقائق تمد اسرائيل يـدها فجأة لمصالحة عربيـة اسرائيلية ويبدأ عصر السلام العجيب ذو الـوجهين ومن وراء اسرائيل قوة أمـريكية هـائلة تؤيـدها ونظام عـالمى مريب ينفـرد بالسيطرة على العـالم وينشر الفوضى لحسابها .

ولكن فوق اسرائيل وفـوق أمريكا وفوق هذا التخطيـط الماكر هناك رب العالمين الـذى يستدرج الجميع ليوم معلوم ولمواجهـة يدبرها .. وهـو الأمر الوحيد الذى لم يدخلوه فى حساباتهم . فـالكومبيوتر عندهم ليس فيه خانة اسمهـا الله . ولكن هـذا لايعفينـا مـن الاسهـام والعمل ، فنحن أسبـاب الله وأدواته وجنده ..

والخطوة الأولى المطلوبة .. هى ان نفهم .. وأن نكشف هذا التضليل وأن نزيح هـذا الركـام من التعمية .. وان نعـرف مواطىء أقـدامنا .. وان نعيش اسلامنـا كما عاشه الأوائل وكما هـو فى الحقيقة .. قـوة دافعة ، وعمل دائب وكفاح متصل واصلاح للأرض ، ودفع للمظالم وردع للشر ..

ورغم كل شي وحتى لـو كـان احتمال الصـدق وحسن النيـة فى عـرض المصـالحة الأخير لايزيـد على واحد فى الألف ، فعلينـا أن نتمسك بهذا الأمل الضعيف ولانرد اليـد الاسرائيلية التى تقدمـت بالسلام بل نتقـدم فى حذر ونرد المبـادرة الطيبة بأفضل منها ، فنحن مسلمون والسـلام ديننا .. والله لن يخذلنا مادمنا خداما مخلصين لكلمتـه .. ولن نكون البادئين بالغدر أبدا فالاسلام قيم ومبادىء وأخلاق .

●●●

ومن الواضح أن اسرائيل قـد غيرت من سياستها وانتقلت بمقـدار مائة وثمانين درجة من أقصى اليســار الى أقصى اليمين وتنازلت « مـؤقتا » عن اسرائيل الكبرى فى مقــابل اسرائيل كبرى من نـوع آخـر .. اسرائيل كبرى اقتصـاديا .. وبـدلا من عملقـة عسكـرية تمتـد من النيل الى الفـرات وتثير العداوات والمنـازعات .. فإنها تفكـر الآن فى عملقة اقتصـادية تكتسح النيل والفرات وما وراء النيل والفرات وتبيع وتشترى وتوجه وتحكم سوق شرق أوسطيـة تتـاجر مع ٤٧ دولـة اسـلاميـة وتكـون لها بوابـة على السـوق الأسيويـة وبوابة أخـرى على السوق الأوربية وبوابـة ثالثة على افـريقيا .. ومن خلال هذه العملقة الاقتصــادية « وهى مؤهلة لها » تستطيع أن تسقط حكومات وتقيم حكومات وتفعل بالخريطة الجغرافية والخريطة السياسية ماتشـاء .

والقنابل النوويـة والصواريخ الذرية والرؤوس الميكـروبية والكيمائية التى خزنتها فى ترسانتها كانت مجرد حماقة ، فهذه الأسلحة أصبحت كلها ممنوعة وعليها محاذير دولية مشددة .

وأين ستلقى بقنابلها الذرية .. ؟؟

وأينما القتـ بها فى المحيط العـربى حـولها سـوف تـرتـد الاشعـاعـات النووية عليها فتهلكها ، وسوف ينتفض العالم كله محتجا على التلوث الذى

سوف يحدث فى البر والبحـر وفى المزروعات وفى المنتجات الغذائيـة وسـوف تتحول فى عين الأسرة العالمية فى لحظة الى عدو الانسانية رقم واحد .

ان فكرة الغزو العسكرى واسرائيل الكبرى التـوراتية .. أصبحت حماقة وطيشا سيـاسيا غير وارد بـالنسبة للقـاموس السيـاسـى العالمى الحالى .. وبالتالى أصبح من الضرورى التنازل عن هذا الحلم أو الكابوس واستبداله بسيطرة من نوع آخر .. ولايوجد أفضل من السيطرة الاقتصـادية ..

وروسيـا سقطت بهزيمـة اقتصــاديـة .. والامبراطـوريـة البريطـانيـة تراجعت الى آخر الصف بسبب ضمورها الاقتصادى .

ولا توجد امبراطورية الآن تستطيع ان تقف امام ضربة اقتصـادية .

إذن الهيمنة المطلوبة يمكن أن يحققها الاقتصاد وحده ..

ولكى تصل اسرائيل الى هذه العملقـة الاقتصادية لابـد أن تتصـالح مع الكل وتبيـع للكـل وتشـترى للكل وتتسلل الى جميع الأســواق وتدخـل الى جميع التجمعات .

ومن هنا كان لابد أن تبدأ من البداية وتحل عقدتها مع فلسطين وتعترف بما لم تكن تعترف به وتصافح عرفات وأبـو مازن وأبو نضـال وأبو وليد .. الخ ..

وبحســاب الـورقة والقلم فإنها لن تخسر بهذه التنـازلات وانما ســوف تكسب قلوبا جديدة وأراضـى جديدة وأسواقا جديدة وهذا هو المهم .

وقد رأينا رابين يـركب الطائرة عائدا من امريكـا فيقف فى المغرب ليلتقى بالملك الحسن الثانى .. وغدا يذهب الى تونس .

وهناك كلام بعودة العلاقات الـدبلوماسية بين المغرب واسرائيل ثم بين تونس واسرائيل والبقية تأتى .

انها السياسة الجديدة .. التسلل الى القلوب للدخول الى الجيوب ..

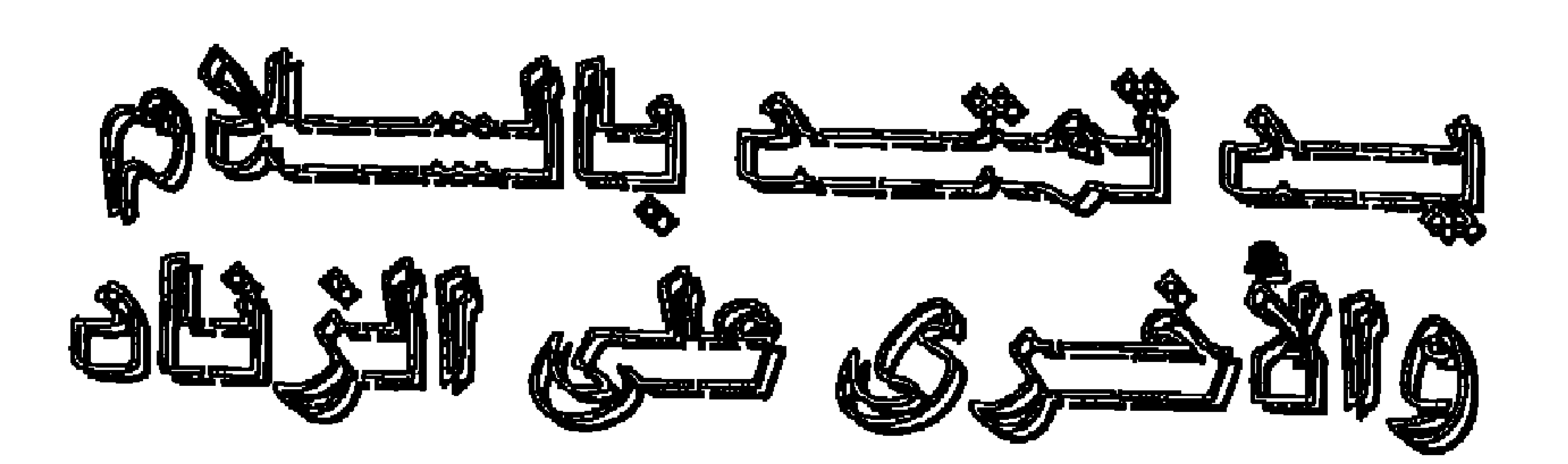
والعبقرية الاقتصادية اليهوديـة شىء قديم ومعلوم وهم الذين صنعوا البنوك واخترعوا الفوائد الربوية .

هل سمعت عن بنك واحد يفتح أبوابـه يوم السبت ؟ !! ان أجازة السبت هى الختم اليهودى والتوراتى على جميع البنوك .

نعم .. يـاسـادة .. اننـا مقبلـون على غـزو جـديـد .. اسمـه .. الغـزو الاقتصادى الاسرائيلى .. وأول أهدافه .. منطقتنا العربية .

ولن ينفع هذه المرة كفاح الشعارات ولا استراتيجية الهتافات ولا إسلام اللحى والجلابيب ولا نداءات التعصب . وانما المطلوب فى هـذه المنافسة هو اسلام العلم وتشمير السواعـد ومضاعفة الانتاج وتجويـد الصنعة واتقان قواعد اللعبة وفتح كل القنوات على جميع دول العالم .

ونبدأ من الآن .. فإنهم على الجانب الآخر يهرولون ويسابقون الزمن .


يد تمتد بالسلام
والأخرى على الزناد

إسرائيل التى استطاعت أن تجند ثمانية عشر ألفا من الفلسطينيين ليعملوا كجواسيس وطابور خامس ضد إخوانهم وبلدهم.. ومن قبل ذلك جندت أمريكا وجندت البنتاجون وقامت اخيرا بابتزاز عشرين طائرة للقتال الليلى من أحدث منتجات الترسانة الأمريكية والتكنولوجيا المحظورة وبضع مليارات تحت حساب صفقة السلام التى لم تتم الا كلاما.. ومن قبل ذلك جندت الصحافة العالمية والاعلام ودور النشر والسينما والمسرح للدعاية لقضيتها وما زالت تبتز من المانيا مليارات الماركات تحت حساب التعويضات.

وقد حصلت اسرائيل أخيرا على السوبر كومبيوتر الذي سوف تستطيع به أن تلاحق أى صاروخ يطلق عليها وتدمره.

كل هذا وأكثر فى مقابل كلام ووعود بالسلام لم تف منها بشىء.. فما زالت حتى هذه اللحظة تقتل وتنسف البيوت وتدك بالطائرات سهل البقاع وجنوب لبنان.. لأن هناك جنديا اسرائيليا واحدا قتل فى إحدى المستوطنات.

والعرب على الجانب الآخر الذين مزقتهم الأحقاد والكراهية ، والذين عجزوا عن انشاء سوق عربية مشتركة وعجزوا عن الاتفاق على اى شىء.. تأتى اليوم اسرائيل لتدعوهم لسوق شرق أوسطية مشتركة فيتسابقون اليها لاهثين يسيل لعابهم.

شىء عجيب .. ومشهد أعجب.. الذئب استطاع أخيرا أن يجمع الحملان ويضعهم فى طبق واحد باختيارهم.. وهم يتسابقون الى احتلال اماكنهم على الشواية الاسرائيلية.. حدث كاريكاتيرى من الطراز الأول.

ويقولون إن امريكا تدفع القطيع العربى وتمنّيه بالأحلام والامانى ومع

ذلك لانرى أى شواهد لهذا السلام المنتظر.. لاشىء سوى تمثيلية المصافحة التى تمت تحت الأضواء فى واشنطون بين عرفات ورابين.

ويكاد يكون المسلسل برمته نوعا من ألعاب الكمبيوتر.

وإذا كانت اسرائيل تريد السلام حقا فما حاجتها الى تكديس ترسانتها بالاسلحة والمقاتلات الليلية والنهارية والمدافع والدبابات رغم انها تطفح بالقنابل النووية والميكروبية والكيماوية التى تغنيها عن كل شىء.. ثم تحرص على دفع الصديق الامريكى لحظر السلاح على كل الدول العربية وملاحقة أى شبهة أسلحة متطورة أو بحوث نووية أى أرض عربية.

وما الضمان عند العرب من أن يخلف رابين زعيم ليكودى متشدد مثل شامير أو قائد شوفينى مثل ميلوسوفتش يحلم باسرائيل الكبرى ويفعل بالأسلحة الاسرائيلية المتراكمة مثل مافعل ميلوسوفيتش بأسلحة الجيش اليوغسلافى فى إقامة دولة الصرب الكبرى على اكتاف الجماجم والجثث والدماء الاسلامية.. ورابين من الآن يخطب ويذيع فى كل مكان بأن الأصولية الاسلامية هى العدو الباقى للحضارة الغربية وخصم الديمقراطية اللدود الذى يجب الخلاص منه.. وأن اسرائيل هى الدرع التى سوف تقى العالم من هذا الوباء الاسلامى.. وان التاريخ قد وضع فى عنق اسرائيل اداء هذه الرسالة الكبرى.

انه يقولها من اليوم وهو الرئيس الاسرائيلى المسالم.. فماذا سوف يقول الرئيس الليكودى الذى سوف يأتى بعده حينما يجد أنه يعوم فوق ترسانة من اسلحة الدمار الشامل تمكنه من ان يفعل ما يشاء.

واسرائيل تقول رغما عن كل هذا السلاح انها خائفة من السلام.. فماذا نقول نحن العرب العزل الضعاف المشتتين بالاحقاد والكراهية؟!

ان مايحدث أمامنا لا يطمئن أبدا.

وأغنية السلام التى يهدهدون بها مخاوفنا لاتبعث على النوم بل على الأرق.

وقد قال رابين منذ أيام.. انى أقدم عرض السلام بيد ، واليد الأخرى على زناد المسدس..

هل فهمتم.. وهل وصلتكم الرسالة؟.

وهل خطر لكم أن تسألوا رابين لماذا طلب من امريكا فى لقائه الأخير بكلينتون ٢٥٠ مليون دولار لإنشاء شبكة طرق لاعادة نشر قواته فى الأرض المحتلة.. هل نحن بصدد اعادة نشر القوات الاسرائيلية، أم المبادرة بسحبها؟؟ هل نحن بصددالسلام أم بصدد التأهب لحرب جديدة ؟!

وهل خطر لكم أن تسألوا الرئيس الأمريكى ..

كيف وافق على هذا المطلب؟!

انى اكاد أرى رابين الذى يصافح بيده اليمنى ويده اليسرى على الزناد .اكاد أراه يضع يديه الاثنتين على الزناد .

هل تقرأون الأخبار كما أقرأها .. أم أنكم اخترتم النوم على معسول الكلام وآثرتم خداع النفس والرقص على مزامير السلام التى يعزفها مدرب الثعابين المحترف رابين ؟ ! .

الى متى يستمر الرقص على الحبال .

●●●

والاسلام موضوع فى خانة الإجرام..هكذا اختار له الماكرون تلك الخانة!!

وكانت اسرائيل أكثر تحديدا فقالت : الاسلام الأصولى ..هو العدو الحقيقى للديمقراطية .

وقد جعلت اسرائيل من نفسها الدرع الواقية للعالم من هذا الوباء .. وقال رابين : ان التاريخ وضع فى عنق اسرائيل مهمة التصدى لهذا الوباء الاسلامى وحمل أعباء هذه الرسالةالكبرى .

هل هذا كلام خطب للاستهلاك المحلى ؟ هل هو مزايدة للزعماء الليكوديين خصوم الأمس ..أم هى بالونات حمراء للتصدير والتهديد والتخويف ؟أم هى اجراس إنذار لإيران وباكستان وأفغانستان ولأى دولة شرق أوسطية تجازف برفع أى شعار اسلامى ..

هى كل هذا واكثر.

أقول أكثر لأن اسرائيل تبنى ترسانتها على هذا الاساس .. وامريكا تدعم تلك الترسانة وتعززها بناء على تلك الفرية .

والقول بأن الاسلام الاصولى هو الإجرام ، مثل القول بأن المسيحية الحقة هى ماتفعله طائفة الكلوكلوكس كلان من اشعال الحرائق والقتل والتخريب .

هى فرية والذين يروجون لها يعلمون أنها فرية ولكنهم يستخدمونها لتبرير حصارهم لكل صوت اسلامى وتنكيلهم بأى تحرك اسلامي فى أى مكان .. وأكثر الجرائم التى تحدث الآن وراءها أيد أسرائيلية وأموال أمريكية ومخابرات أجنبية ، وهم ينفقون على هذه الأكذوبة ليرسخوها فى الأذهان وليبرروا مخططاتهم.

وإلا فكيف يوصف قتل الأبرياء فى العدوان الأخير على رئيس الوزراء المصرى بأنه جهاد اسلامى؟! وكيف يعلن مدبرو هذا الاجرام بأنهم جماعة الجهاد الاسلامى.. وأين الجهاد هنا وأين الاسلام والجريمة موجهة ضد الاسلام الأصولى نفسه وضد مصر ولايمكن أن يقوم بها مسلمون.

والتقاط اسرائيل لهذا الفرية.. والزعم أمام العالم بأنها الدرع الواقية التى اختارها القدر لصد هذه البربرية الاسلامية والقضاء عليها.. هو أكثر من مجرد ثرثرة ميكروفونات.. بل هو خط مستقبلى واستراتيجية تساوم بها اسرائيل الحلفاء الغربيين لتبتز المزيد من المعونات والمزيد من السلاح والمزيد من التنازلات.. وتضمن بها الفيتو الجاهز أمام أى عدوان تقوم به.. وتضمن أن أى عقوبات تقررها الأمم المتحدة لن تدخل فى الباب السابع.. وهو ماحدث دائما.. ولا غرابة بعد ذلك فى أن تكون هناك أيد للموساد وللمخابرات الأمريكية فيما يجرى من تفجيرات وجرائم باسم الاسلام وباسم الجهاد الاسلامى.. والرئيس كلينتون فتح صدره لمقابلة ودية مع سلمان رشدى الكاتب الذى سب الاسلام وبصق فى وجوه المسلمين ، ولو طلب شيخ الازهر مقابلته لما ظفر بدقيقتين اثنتين من هذا الود الصافى .

وهذا يستدعى منا أن نبنى استراتيجيتنا على نفس الأساس فنصافح بيد واليد الاخرى على الزناد ونخطو معهم خطوة نحو السلام ، ونخطو خطوة موازية لزيادة كفاءتنا العسكرية ونتعامل بحذر مع الأيدى الاجرامية التى تصافحنا كل يوم.

وسوف تكلفنا هذه الاستراتيجية بأكثر مما فى خزائننا ولابد أن تفهم الدول العربية هذا الدور فتساعدنا فيه.

والذين يتخوفون من حرب صليبية يهودية قادمة لايتكلمون من فراغ فالاحتمال قائم ومشهود ولا يعمى عنه الا الذين يتعامون عامدين ليوفروا على أنفسهم الأعباء الثقيلة المكلفة .فالمنطقة تسبح فى بحر من الفتن والمؤامرات والسلاح يتراكم ودائما عند طرف واحد هو اسرائيل.

ولااظن أن السلام الوهمى سيدوم لأكثر من خمس أو ست سنوات على الأكثر.. ثم ماتلبث أن تغرى العملقة العسكرية وأهرامات العتاد الحربى ومنصات الصواريخ ومئات الطائرات المقاتلة الجاثمة على الارض الزعيم المجنون القادم بأن يشعل الفتيل ليبدأ العد التنازلى للنهاية.. أو يتحقق الحلم الآخر السهل بأن ينهار العرب من داخلهم أكثر فأكثر ويفتقروا اكثر فأكثر ويختلفوا فيما بينهم اكثر فأكثر.

أقول هذا لأقرع أجراس الانذار للنائمين الذين لم يشبعوا نوما.

وأقول للجار الاسرائيلى: نعم الاسلام دين مسالم وديع متسامح، ولكنه عند الضرورة وحينما يؤخذ غيلة وغدرا دين مقاتل صلب المراس لايضع سلاحه الا منتصرا..

والمسلم يطلب الموت فى ساحة الحق مثلما تحرصون انتم على الحياة فى ساحة الباطل، والله لم يطلب من المسلم المقاتل أن يعد العدة التى تكافىء تجهيز الخصم، ولكنه قال :« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» .. افعلوا اقصى ما تستطيعون.. احشدوا اقصى امكاناتكم ولو كانت دون امكانات الخصوم، فالاستطاعة هى الحد الاقصى المطلوب وما يزيد على ذلك يتكفل به الله بإمكاناته التى بلا حدود.. وذلك لأن بلوغ اقصى المستطاع هو برهان الاخلاص.. وهو الشرط المطلوب ليأتى الله لنجدته.

هذا ما يعلمنا إسلامنا ودرعنا الحقه التى لاتبيد وبهذا المنطق انتصر المسلمون وهم قلة على اكبر امبراطوريتين فى الماضى.. الفرس والروم.

●●●

أعداؤنا يخافون من بعث هذه الروح.. وصحوة هذه العاصفة النائمة..

وهم لا يخافـــون من صحـــوة البراقع والجلاليـب واللحى ولا يعبأون لبعث الشكليات والمظـاهر.. بل ان بيوت الأزيـاء فى باريس تتنـافس فى هذا المضمار فتبتكر الماكس والطويل والمجرجر والقفطان لتبيع للعرب.

وهم لايخافون من ثـرواتنا البترولية مادامت تتحـول الى قصور وترف ونعـومة ، فهم يلتقـون بهذه الثـروات فى مصايـف الريفيرا ونيس ومـونت كارلو وهم يحصدون هذه الثروات على موائد القمار فى لاس فيجاس.

ولكنهم يخافون من رجال كالـزوابع يحاربون تحت الجليد فى سرايبفو ويتصدون للدبابات والمدافع بأسلحة قـديمة وقنابل مولوتوف.. ويخافون من رجل مثل عـزت بيجوفتش .. حليق يـرتدى البـدلة مثلهم ولكنـه صلب كالفـولاذ لايساوم ولا يتراجع ويرابط فى موقعـة تحت وابل من الصواريخ والقـذائف مع عصبة قليلـة من الـرجـال آثروا الموت على الحيـاة واشتروا الأخرة بالدنيا.

هذه هى الروح التى يخافونها ويحسبون لها الف حساب.

وهم يخافون ذلك الكتاب الذى يتحدث بصوت الفطرة فيصل الى قلوب النـاس.. ذلك القـرآن العجيب الـذى يحادثهـم بـالعقل والمنطق والبرهـان ويكلمهم بلغـة العلم وأسلوب العصر ويأتى بـالجديد فى كل قضيـة وفى كل زمان .

ذلك الكتـاب الـذى ينتشر بقـوة ذاتيـة فيـه ويكسب الأتبـاع فى صمت ودونما جهد من دعاة أو متخصصين .

ورغم هـزيمـة المسلمين فى كل مكان ، ورغـم تراجع صـوتهم وخفـوت نفيرهم.. فإن الاسلام يكسب اتباعا جددا كل يوم فى كل مكان.

هذه الظاهرة تحيرهم.

فهل يعود التاريخ الذى يمضى فى دوائر الى تكرار نفسه؟

وهل يرتفع صـوت الاسلام من جديـد رغم اصفرار شـجرتـه وتساقط أوراقه.. هذا الهاجس يخيفهم ويريبهم.

والاسـلام فى ذاتـه لا يهمهم.. ولكن الإسـلام سـوف يأتى ومعـه الـدنيـا والسيـادة.. والدنيـا همهم والسيـادة دينهم وديـدنهم ولن يتنـازلوا عنهـا باختيارهم.. وحول هذا يدور الصراع.. فهو صراع حول الأرض والسيادة.. ولكن الأديـان والمبـادىء فى الخلفيـة طول الـوقت.. وقـد دفعـوا بإسرائيل وزرعوها فى الارض العربية وسلحوها بالقنابل الذرية والترسانة الكيماوية والميكـروبية واداروا الحرب والسـلام لحصار هـذه الظاهـرة الاسلاميـة وخنقهـا فى المهـد.. وكـانت السوق الشرق أوسطيـة آخـر حبائل مكـرهم ليضمنوا بقاء المسلمين رهـائن للحاجة والتبعية الاقتصاديـة طول الوقت.. وأمطروا المنطقـة بالغـزو الثقافى الهابط من السماء ومن الأقمار الفضـائية بكل صنـوف الفنـون المنحلـة التى توهن العـزم وتشغل الشبـاب بـالمثير والتـافه من أمـور الجنس.. وحـاصروا المنطقة بـالمؤامـرات ولطخوا وجـه الاسلام بالجرائم واشتروا الـذمم هنا وهناك لتفجر القنـابل وتقتل الأبرياء تحت مسميات اسـلامية مشبوهة.. وتحت رحى هـذا الصراع الدائر نعيش ونتقبل ما يجرى فى سلبية ونتعامل معـه فى استسلام ونقف موقف المتفرج الذى يحاول أن يفهم وقد سيطرت علينا الدهشة والبلادة.

ومازلنا نحاول أن نفهم ونربط الظواهر بعضها ببعض لنكتشف الى اين تسير سفينتنا ، أو الى أين يسار بها.

ولكن الله من ورائهم محيط وهـو رب الكون وصاحب السلطـان الأوحد الـذى يصرف الـرياح ويحرك الـزوابع ويطلق السيـول ويفجـر الـزلازل ويوقظ الموتى من القبور ويبعث العزائم فى القلوب ويجعل المستحيل سـهلا والصعب هينا.. وبالله نؤمن وبه نستعين.

●●●

يتصور حكـام الدنيـا الأقوياء أنـه لا منافس لهم وأن حكمهم نـافذ ولا مبدل له ولا مهـرب منه ، والحقيقة أن الفرد منـا تتجاذبه أكثر مـن حكومة دون أن يدرى.. بل هو يسبح دون أن يعلم فى عالم من الحكومات الخفية.

الشيطان وذريتـه حكومة خفيـة توسـوس له بالشر وتـورده المهالك ، والملائكة الحافظـون حكومـة أخرى تسهر عليـه وتحفظه وتلهمـه بالخير

ومافيا المخدرات والفساد والرشاوى حكومة أخرى تخرب وتدمر كل ما يبنيه العاملون الشرفاء.

والاسكندر الاكبر قتلته بعوضة ، كان جلاده طفيل اسمه الملاريا لاتراه العين.

والفيروسات حكومات عجيبة لاترى حتى بالمجاهر القوية ، وأحد فرسانها قتل عشرين مليون ضحية فى وباء الانفلونزا سنة ١٩١٩ (أكثر من مائة ضعف ما قتلته قنبلة هيروشيما الذرية) وعطسة واحدة اذا فاجأت عجوزا ضعيف العضلات يمكن أن تصيبه بانزلاق فى غضاريف الرقبة يؤدى الى شلل رباعي..

أما مسبب العطسة فقد تكون ذرة تراب أو هبأة لا شأن لها ولا وزن تسللت الى خياشيمه فى الوقت الضائع .

والملأ الأعلى وملائكة التصريف وملائكة التدبير وملائكة الانتقام والملائكة الكاتبون حكومة عليا تعمل بأمر الله مالك الملك والملكوت.

وقوم ثمود وقوم صالح وقوم لوط دمرتهم الصيحة.. صيحة ملك الانتقام فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين حتى أدركهم الموت.. وقوم عاد دمرتهم الريح الصرصر العاتية.

وإرادة الله فوق كل الحكومات الظاهرة والخفية العالية والدنية.. لاترد أحكامها ولا تستأنف.. وكل الحكومات تعمل بأذنه وتفويضه.

يقول الملائكة لابراهيم فى القرآن حينما طلب الرحمة لقوم لوط : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك.. وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » (٧٦ـ هود).

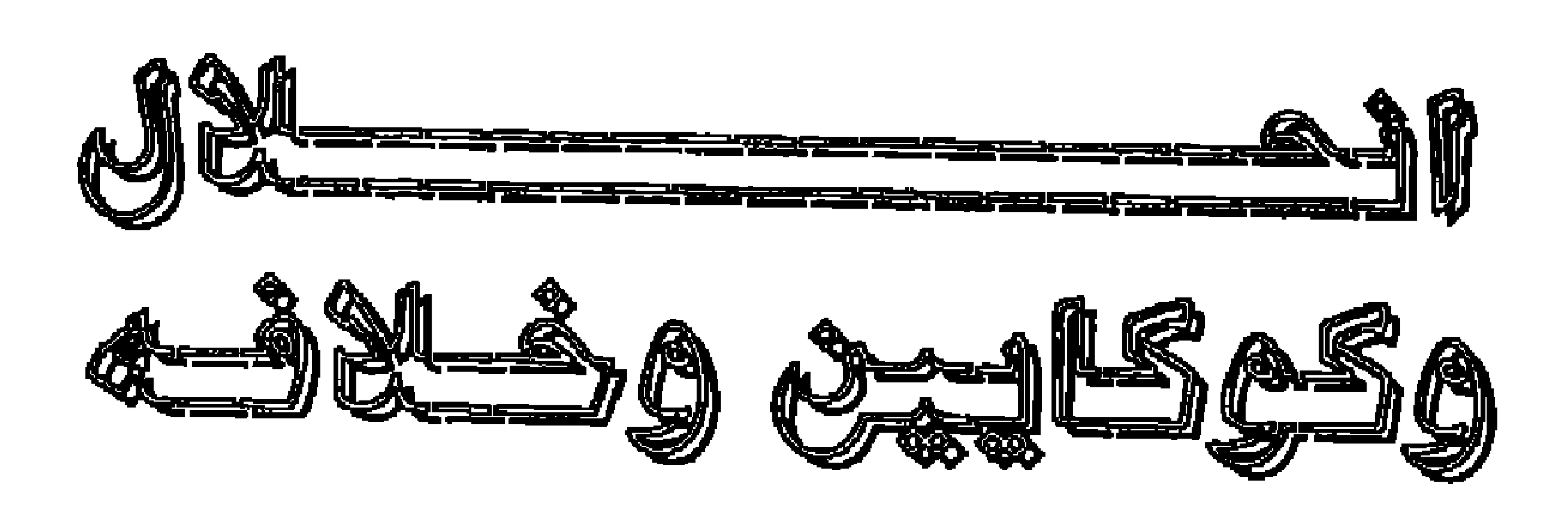
فالله سبحانه وتعالى هو الحكومة الوحيدة التى بلا ضد وبلا ند وبلا مثيل وبلا شبيه وبلا معقب.. وكل حكوماتنا تعمل من باطن حكومته..وكل الجبارين فى الأرض جنوده ينفذون غضبه وسخطه من حيث لا يعلمون ، وكل الرحماء ينفذون رحمته من حيث يظنون أنهم هم الرحماء.

ولو كشف للأنسان الغطاء وعاين الحقيقة لتمزق رعبا ولتلاشى خوفا ولانكمش وعاد كما بدأ نقطة من ماء مهين.. ولكن الله ستر عنا هذه الغيوب وأسدل عليها حجاب لطفه حتى يتم الابتلاء والامتحان وحتى يخرج

بحكمته ما نكتم فى نفوسنا وحتى يظهر مافينا من أضغان وحتى يتبين لكل منا حقيقته.. وأكثر من هذا شاءت حكمته أن يعطى كلا منا حكما فى دائرته ويهبه حرية فى مجاله ويمد له فى الأجل ويفسح له فى الفعل ليبنى ويعمر أو يقتل ويدمر.

وكل منا حكومة مؤقتة شاء أم ابى.. وكل منا مبتلى.. وكل منا سوف يستدعى فى أوانه وفى ميقاته.

والسعيد منا هو الذى يعلم هذا يقينا.. ويطلب من الله التوفيق الى الخير والسداد فى الأمر.. والناجون هم أهل الخوف والخشية.. الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وتذكروا من هو رب العالمين فى عظمته وجلاله وسطوته.. ومن هم فى دونيتهم وغرورهم .


وكوكايين وخلافه

المسلسل الأمريكى .. الجرىء والجميلات .. هذه السهرة البريئة التى يتجمع لرؤيتها الملايين كل ليلة .. ليس فيها أى صفه من صفات البراءة فموكب الجميلات فى هذا المسلسل يتنافس فى الانحلال وفى فعل كل شىء .. وجرعات الانحلال تقدم الى المشاهد تباعا فى عبوات من الزينة والبهرج ليبتلعها دون مقاومة وهو مسترخ فى فراشه .. والبطء والإملال يعملان كمخدر موضعى لينام ضمير المشاهد وهو يتجرع هذه الوجبة المسائية .. والتكرار والاعادة يختمان على القلوب كلما أفاقت ويذكران العين كلما نسيت .

وليس فى المسلسل فن رفيع ولاقيمه عالية ولامعنى نبيل .. وانما كل ما هنالك شهوات ومثيرات تأخذ بالمشاهدين الى أسفل ، الى بدروم الغرائز والى حضيض الحواس . والذى أحبوا هذا المسلسل .. تعلقوا به تعلق المدخن بالسجارة والمدمن بالصنف، والمنكرات كلها والرذائل جميعها تجرى فى هذا المسلسل أمام المشاهد فى بساطه جرى العادةوالأمر الواقع الذى لاغرابة فيه ولااعتراض عليه فيخرج المشاهد بمعنى ثابت هو أن هذه هى الحياة المثلى عند الناس الأكابر ، وأن العفة والطهارة والفضيلة والوفاء والاخلاص كلام عفى عليه الزمن ، وأن الأخلاق علامة تخلف وبقايا رجعية والشعار المستمر طوال المسلسل .. انه لا أخلاق .. ولا حرج ولامانع فى عمل أى شىء .. عانق وانكح مادامت تسمح .. لاخيانة هناك فى أن تخطف زوجة أخيك أو ترى زوجتك فى فراشه .. فهذه أمور طبيعية .

وفى الحلقات القادمة سوف تكتشف بطلة المسلسل أنها حامل من أبيها .. هكذا فى بساطة شديدة .. وماذا فى ذلك ؟ . ألم تذكر التوراة أن بنات

النبى لوط سقين أبيهـن خمرا حتى ثمل وضاجعنه لينجبـن أبناء كما تفعل كل النسـاء .. (وهو بعض مـاكتبـه اليهود بأيـديهم وأضـافوه الى تـوراة مـوسى) وهم مازالـوا يكتبـون ويـزيفون ويفسـدون وصـاحبنا كـاتب المسلسل وضع كومة من القاذورات الخلقية فى كرنفال من الزينة وفى بوتقة من عروض الأزياء الجذابة ومحفل من الجميـلات .. وربات البيوت يتابعن فى بلاهة تلك العروض ويبتلعن مافيها .

ومانـراه منذ شهـور هو جـرعة معـدة بتفكير وتدبير ومجهـزة لإغراق وافساد وتفكيك بنـائنا الاجتماعى ونحن نشتريها بـأموال دافعى الضرائب وندخلها الى بيوتنا اختيارا ونتجمع كل ليلة لنمضغ سمومها .

والذى يظنون أنهم بتقديم هـذا المسلسل سوف يحدون من غلو الموجه الـدينية هم على خطأ .. فـانهم سـوف يستفزونها .. ثم أن الموضـوع ليس موضوع الـدين ولكنه موضوع التقاليد والاعـراف والبناء العائلى والأسرى والاجتماعى .. واذا انهدم البنـــــاء الأسرى والاجتماعى انهدم كـل شىء وكاتب المسلسل يهدم أشرف ماورثناه .. فى بسـاطة .. وهو يبتسم .. ثم هو مستمر كل ليلة فى الهدم وهـويبتسـم .. ونحن نتفرج ونبتسم فى براءة حيث لابـراءة .. ونستمر فى الفـرجـة لمجرد قتل الـوقت .. ونقتل أنفسنـا مع قتل وقتنـا . والمسلسل مستمر لألف حلقـة باقيـة ولعـدة سنوات رغم مـاكُتب ونشر من آراء الصفوة والنخبـة فى نقده وهو أمر عجيب .. وهـو يدل على أن هناك حالة اغماء عام .. وانه لا أحد يقرأ لأحد .. ولا أحد يفكر فى صالح أحد وان الكل ماض فى قتل الوقت .. وقتل نفسه .

ولاشك أن بين الـوارد من الانتاج الغـربى الوفير هنـاك الكثير مما هـو أفضل .. هناك المسلسلات العلمية وهنـاك المسلسلات التاريخية .. وهناك المادة الوثائقية .. وهناك انتاجنا الفنى وليس كله رديئا .

ونحن متفقون ولاشك على أهمية وظيفة الترفيه التى يقدمها التليفزيون ولكن بإحياء الوقت وليس بقتل الـوقت، ومتفقون على أن الترفيه الأمثل هو الترفيـه الـذى تحيـا بـه القلوب وليس الترفيـه الـذى تموت بـه القلـوب .. ومتفقـون على أن التليفـزيـون جهـاز خطير يمكن أن يصنع الـرأى العـام

ويمكن ان يضلله ويمكن أن يرفع أذواق الناس ويمكن أن يهبط بها ولهذا يجب أن يكون مكانه أمام الجماهير وليس خلفها يقودها ولا تقوده هو المنبر الفنى الوحيد الذى لايخضع لجمهور الشباك ولايلتفت الى مطالب الشباك .. ولايصح أن يستمر فيه مسلسل لمجرد أن الجمهور عاوز كده .

ولقد عشنا مسلسلات دلاس وفالكون كريست ونوتس لاندنج والجرىء والجميلة وكلها تعزف على نغمة واحدة هى انحلال المجتمع الأمريكى وغرقه فى مستنقع الجنس والمخدرات والجريمة.. مع تفاوت .. فقد رأينا فى دالاس فنا وحبكة وحرفة بينما كان الجرىء والجميلة أى كلام .. ولكن الكل كان يعزف تنويعات من نفس المقام النغمى الهابط .. ومن حقنا ان نطلب فتح نوافذ اعلامنا العربى على هواء نقى .. نريد أن نتنفس فنونا أخرى نقية .. شبابنا فى حاجة الى قيم ومثل تعينه على المجالدة التى يعيشها .. وقد شبع حتى التخمة من هذا المستنقع الأمريكى العفن .

ان التليفزيون الأمريكى والسينما الأمريكية لم تعد تعبر عن حضارة شابة وانما أصبحت تعبيرا صارخا عن حضارة عجوز تتفسخ وتلفظ انفاسها .

ان نجوم الذروة فى أمريكا الآن هم شوارزنجر بطل العنف المطلق ومادونا بطلة الجنس الفاحش ومايكل جاكسون رمز التخنث والشذوذ والعبث .. وهؤلاء هم النجوم الذين يتربعون على القمة .. فهل يقدم هؤلاء فنا أم يقدمون انحرافا .

وأمريكا هى الآن تكنولوجيا وعضلات ولكن لاشىء آخر ..

وعلينا أن نبحث عن منافذ فنية أخرى نأخذ منها ونتلقى عنها .

اننا جميعا سوف نسأل عما نضع فى هذه الشاشة الصغيرة التى يتجمع حولها ملايين المشاهدين .

ان الكلمة أمانة .. ولم تعد الصحافة هى الوعاء الأول للكلمة وإنما أصبح الوعاء الأول هو التليفزيون والشاشة الصغيرة التى تطل منها الكلمة مجسمة وملونة ومشخصة وأحيانا معزوفة وملحنة فى نفس الوقت.. ثم بعد مسافة طويلة تأتى الصحافة .. ثم أخيرا الكتاب . إن

التليفزيون الـذى تصدر كل وسائل الاعلام وأوشك أن يكـون فى مقام نبى هذا العصر .. تحول فى دول كثيرة إلى مسيخ دجال هذا الـزمان.. فهو القناة الأولى للسلطة وهو البوق الرسمى للحـزب الحاكم ثم هو لمن يدفع أكثر من طلاب الاعـلانات وما يبقى من وقته يكـون للترفيه وقتل الوقت .. وأحيـانا لتضليل المشاهـد وحجبه بالكليـة عما يجرى حوله .. هكـذا كان الحال إلى وقت قريب .. ولكننا دخلنـا اليوم فى مرحلة إعلاميـة جديدة وخطيرة هتكت فيهـا الحجب وهَجمت محطـات البـث التليفـزيـونى من الأطبـاق والأقمار الصناعيـة لتقذف بالحقـائق فى وجه الجميع ولتقدم ألـوانا من الفن أفضل وأرقى وأحيـانا أسـوأ وأفحش.. وسـوف يتطلب هذا التنـافس الشرس من الكل إعـادة النظر وتجويـد البضـاعـة وعدم إخفـاء الحقائق .. ولهذا كـانت وقفتنا الطويلـة اليوم فى هذا البند .. بند تجويد البضـاعة وحسن الانتقاء .. سواء كانت البضاعة محلية أو مستوردة .

وطلب آخر هو ختام البرامج فى الساعـة الثانية عشرة على الأكثر وتوفير المال وتوفير الكهـرباء وتـوفير طاقة المشـاهدين لينـاموا مبكـرا وليصحوا مبكـرا خـاصة فى الـريف العـزيـز الـذى يصحو فيـه الفـلاح مع الشمس ويهرول التلميذ لمدرسته فى الثامنة وينهض العامل لمصنعه فى النجمة .

والفلاح الجديد الـذى يسهر الآن مع البرامج للرابعة صبـاحا وينام إلى الظهر لن يكون فلاحا .

ولن يكون العـامل عاملا ولا التلميـذ تلميذا وسوف ينـام معهم الإنتاج وينام العمل وينام التعليم وتتوقف عجلة الحياة النافعة .

وعشـاق السهر عنـدهم الأطباق والأقمار الصنـاعية ينتقـون منها مـا يريدون .

وذوو الأعصـاب الخربة الـذين لا يـواتيهم نـوم لا يـدخلون فى خطـة البرامج العامة وإنما يدخلون فى اختصاص وزارة الصحة .

وفى الماضى كان أبنـاؤنا وأمهـاتنا هم الـذين ينشئوننـا ويربـون فينا عـاداتنا وسلـوكياتنـا .. ولكن فى هـذا الزمـان العجيب أصبح التليفزيـون ووسائل الاعـلام هى الأب والأم وهى التى تقوم بتربيتنـا وهى التى تغرس

فينا عاداتنـا الحسنة والسيئة .. وهى مسئوليات جـديدة تقع على القائمين على هذه الأجهزة .

والمهمـة شـاقـة والحمل كبير .. وقلبى مع وزيـر الاعـلام ومع لجان وضع البرامج .

وأحمد الله على أنى لست وزيرا للاعلام .

العـدل يا وزير العـدل

هناك ٣٥ حكما بالاعدام على تجار مخدرات فى إدراج مكتب وزير العدل وهى أحكـام قضـائية على جـرائم ثـابتة ضبطت فيهـا المخـدرات وضبط المجرمون متلبسـين .. ومع ذلك لم ينفذ حكم واحد من هذه الأحكام .

وفى عام ١٩٩٢ وحـده بلغت قيمة المضبوطـات أكثر من ثـلاثين مليون جنيه .

وكنـا نظن أن عـدم تنفيـذ الأحكـام كـان بسبب عـدم تصـديق رئيس الجمهوريـة عليها ، ثم علمنا أن تصـديق رئيس الجمهوريـة مثله مثل رأى المفتى .. استشارى .. وأن رئيس الجمهورية إن لم يصدق على الحكم خلال خمسـة عشر يومـا يعتبر موافقـا رغم عـدم مصادقتـه .. ولكن الضرورى بحسب نص القانون هو أن يصدر وزير العدل أمره بالتنفيذ .

والسؤال هو : لماذا لم تتحرك يد وزير العدل لإصدار الأمر بإعدام هؤلاء المجرمين ؟ ولماذا ظلت هذه الأحكام فى إدراج مكتبه طوال هذا الوقت .. بينما تصدر أوامر بسرعة لإعدام أى مجرم قتل فردا أو أفرادا .

وهل تاجـر المخدرات الذى يقتل شعبا ويـدمر جيلا جريمتـه أهون من قاتل الفرد فى نظر القانون وفى نظر السيد وزير العدل .

وإذا استقر الأمـر على أن عقاب هؤلاء المجرمين الـذين يدمرون شبـابنا ويحطمون أولادنا بـالمخدرات سيكون عقابـا شفويا وإعدامـا صوريا على الـورق فقط ثم عـدة سنـوات فى سجن خمس نجـوم .. فأى ردع ســوف يردعهـم ويردع غيرهم عن المضى فى تخريب بلـدنا وهـدم مستقبلنا .. ؟ !!

ولماذا يخصـهم السيد وزير العدل بهذه المعاملة المتميزة .

مجرد سؤال .. ؟ !

وإذا كان السبب هو بطء التقاضى وسلحفائية التنفيذ .. فلماذا لا تنظر هذه القضايا أمام محاكم عسكرية شأنها شأن جرائم الارهاب .. وهل كارثة المخدرات أقل شأنا من كارثة الارهاب .. وهل الحزم فيها غير مطلوب.. وهل قتل مسئول حكومى أخطر من قتل أمة .

أم أن لبارونا ت المخدرات الذين يعملون من وراء الستار .. قدم فوق القانون وفوق المحاسبة .

نريد أن نطمئن أن بلادنا لن تتحول إلى مسرح للمافيا مثل إيطاليا وكولمبيا وبوليفيا والمكسيك ، وأننا لن نرى فى يوم من الأيام أمثال «جوليانو أماتو » رئيس وزراء إيطاليا الذى وقف يشد شعره أمام التليفزيون وهو يهتف : هناك أربعة آلاف وخمسمائة مدير ووزير ثبت أن لهم علاقات بالمافيا .. هذه ليست إيطاليا .. هذه غابة .

لا نريد أن نعيش اليوم الذى يحدث هذا فى مصر .. ولفتة أخرى إلى سيل المخدرات الذى لا ينقطع والذى يدخل مصر من طريق سيناء وآخر حادث تهريب نشرته الأخبار فى صفحتها الأولى كان عن ضبط أربعمائة كيلوجرام من الحشيش فى منطقة رأس سدر .

وكل المخدرات تأتى الآن من سيناء من عند الحبايب الجدد .. بارونات الحشيش والأفيون والكوكايين الذين يزرعون ويصنعون المخدرات ويروجونها تحت الحماية الاسرائيلية وتحت علم الصداقة والوفاق فى كامب ديفيد .

وهذ بعض ضرائب الصداقة الجديدة وبعض نفقات التطبيع .

وعـــن الديوقراطيـــة

أعلن كلينتون تأييده لبوريس يلتسين مباركا الحصار الذى ضربه على البرلمان .. كما فعلت نفس الشىء بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا .. الكل وقف مع يلتسين ضد البرلمان مؤيدين ما يفعله من تهديد وحصار النواب المائة المسجونين والمقطوع عنهم الماء والكهرباء والطعام والاتصالات بكل أنواعها ثم حرق البرلمان ومصادرة الصحف .

وعجبت كيف تخلت كل تلك الدول الديمقراطية عن حماسها

للديمقراطية فجأة وأيدت القمع الذى يمارسه يلتسين لنواب برلمانه وصحافة بلده وكيف نسيت مبادئها تماما وانحازت مصالحها .

هذه الميكيافيللية السياسية والحربائية الأخلاقية التى تتلون وتتبدل بلا مبدأ سوى المصلحة الوقتية ، وهذه الذمة المطاطة التى تقول بالشىء وتفعل ضده فى نفس اللحظة .. فهم يعاقبون الصين على ما فعلته فى حصار الثورة الشعبية فى ميدان « تيان من » ويقولون أن هذا سلوك شائن وضد الديمقراطية ثم يباركون فى نفس اللحظة ما يفعهل يلتسين من حصار للبرلمان وتجويع وتهديد لنوابه وإنذاره باقتحام المبنى بقوة السلاح !! أين الديمقراطية التى كانوا يتشدقون بها إذن .. وأين المبدأ ؟!

ونفس الشىء مع حقوق الإنسان .. فهم أسود الغابة ضد العراق وليبيا وسوريا لشبهة مخالفات هنا وهناك لحقوق الإنسان .. وهم عمى صم بكم عن الإجرام والاغتصاب والاعتقال والتعذيب الذى يجرى يوميا لمسلمي البوسنة ، وأكثر من ذلك يسلحون الباغي ويعينونه على بغيه بينما يحظرون السلاح على الضحية .

ونفس الشىء مع أسلحة الدمار الشامل فهى محرمة ومحظورة على كل الدول العربية وهى حلال على إسرائيل ومسموح بتكديسها ومضاعفتها وتنويعها من كل صنف ولون .

وهؤلاء هم أرباب الحقوق الذين يحرسون الحقوق وتضيع معهم الحقوق فى عالم آخر زمن .

والمستقبل

والغزو الثقافى الذى نعيش فيه وسيطرة نماذج الفن الهابط ومسلسلات الترفيه وقتل الوقت التى تغزو أعلامنا والتى تكلمنا عنها ليست وحدها التى تحتل الساحة الفنية .. فهناك غزو آخر يشعر به رواد المعرض والرسامون الشبان والمتقدمون لجوائز البينالى كل عام هو موجة التجريد والتلطيش بالفرشاة والتنقيط والتكعيب والتهبيب والرسم العابث وقاعات العرض التى تمتلىء بالزبالة والحديد الخردة وأكوام الزلط ثم تفوز بالجوائز وشهادات التقدير .. والذى فتح الأبواب لهذه الزبالة

وأشـاد بهذا العبث واحتفى بهذا القيء الفنى قد سـاهم بلاشك فى إفسـاد الأذواق وفى انحـراف جيل فنى بأسره .. وهـذه مسئـوليـة وزارة الثقـافـة بالدرجة الأولى .

وإذا كـان لهذا البلد مستقبل فأول شروط هـذا المستقبل هـو تصحيح المسار واختيار كـوادر جديدة فيها أصالـة ومصرية وولاء تاريخى وانتماء وطنى لتحرس البـوابات التى يدخل منهـا هذا الطوفـان من الإفساد الفنى والثقـاف ، ومصر التى خـرج منها النحت الفـرعـونى والـرسوم الجداريـة المذهلة والتى نبت منها أمثال مختار ومحمود سعيد وبيكار وصبرى راغب وآدم حنين وعبـد العـزيـز صعب ورخـا وصـاروخـان ومصطفى حسين وصلاح جاهين والكوكبة الـرائدة من رواد الرسم والنحت والكاريكاتير هى كنز عزيز لابد من حراسته من هذا الغزو العبثى الذى يريد أن يهيل التراب على تاريخنا وتراثنا .

والتحديات المقبلـة التى تنتظرنا لن تكتفى بالغـزو الثقاف وإنما هناك الغزو الاقتصادى الاسرائيلى الوشيك الذى ينتظر التطبيع وانهيار السدود والقيـود وفتح السـوق الشرق أوسطيـة لـلأمـوال الصهيـونيـة والسلع الصهيونية والمشاريع الصهيونية .

والـذين يشعرون بـالخوف من هـذا المستقبل وينظرون فى تشـاؤم إلى امكانياتنـا المحدودة فى مواجهة هذا الطـوفان .. أقول لهم : إن مصر لم تكن قط فى أى يوم من الأيام محدودة الامكانيات فى المواهب .

ومنذ ستين سنـة حينما كانت مصر فى تطبيع عـادى مع اليهود وكـانت أبوابها مفتوحة لأموال الصهاينـة ومشروعاتهم .. وكانت فى القاهرة محلات صيدنـاوى وبنزايون وداود عـدس وعمالقة التجار اليهـود وبنوكهم .. فى ذلك الـوقت نبتت مـوهبة اسمهـا طلعت حـرب بمـوهبتـه الفذة الخلاقـة واستطاع أن يكتسح كل هـذا الغزو الاقتصادى وأنشأ بنك مصر وشركـاته المتعددة وأقـام قاعـدة اقتصاديـة جبارة تـراجعت أمامها كـل تلك الأموال الأجنبية واستطاع المال المصرى والاقتصاد المصرى أن يثبت وجوده .

والمناخ الذى أنبت طلعت حرب فى ذلك الوقت كان نفس المناخ الذى أنبت العقاد وطـه حسين توفيق الحكيم وفكرى أباظـة والتابعى ومصطفى أمين وباقى العمالقة .

كانت ديمقـراطية وحرية ذلك الـزمان هى التى فتحت السبيل لكل تلك المواهب .

والتحدى الحقيقى الذى يـواجهنا الآن ليس إسرائيل ولا اليهود .. وإنما المناخ الاجتماعى الفاسد وبقايا الاقتصاد الشمولى الفاشل والقطاع الخاسر وجيش المرتزقـة من ملايين الموظفين الكسالى والحاقدين الـذين يتفننون فى وضع المعوقـات أمام أى خطوة إلى الامام .. ويقفـون بأيد ممدودة لجبـاية الـرشاوى .. هـذه البيروقراطيـة العفنة هى التى تكبل كل حـركة .. وتسـد الطريق أمام أى موهبة .

والكلام عن إصلاح تلك البيروقراطية والـوعود بإزالتها .. مازالت مجرد وعود وشعارات وكلام جرائد .. لا نرى لـه أثرا فى الواقع الثقيل الذى نرزح تحته .

وهذه البيروقراطيـة لا تكتفى بتكبيل أيدى كل موهبة نـاجحة .. ولكنها أيضا تلد كل يوم جيوشا من المنافقين والمتملقين وحملة المباخر والمسبحين والمصفقين وتجار الكـلام وبـاعـة الأكـاذيب ومحترفى الجوائز وحملـة اللافتات .

وسـوف تظل ديموقراطيتنا ومنـاخنا فاسدا حتى نتغلب بالفعل (وليس بالقول) على هذه البيرقراطية وعلى هذا النفاق الوراثى الذى دخل فى تكوين الجينات الـوراثية لهذا الجيل السيىء من عبيد القطـاع العام ومن الهاتفين بالديمقراطية .

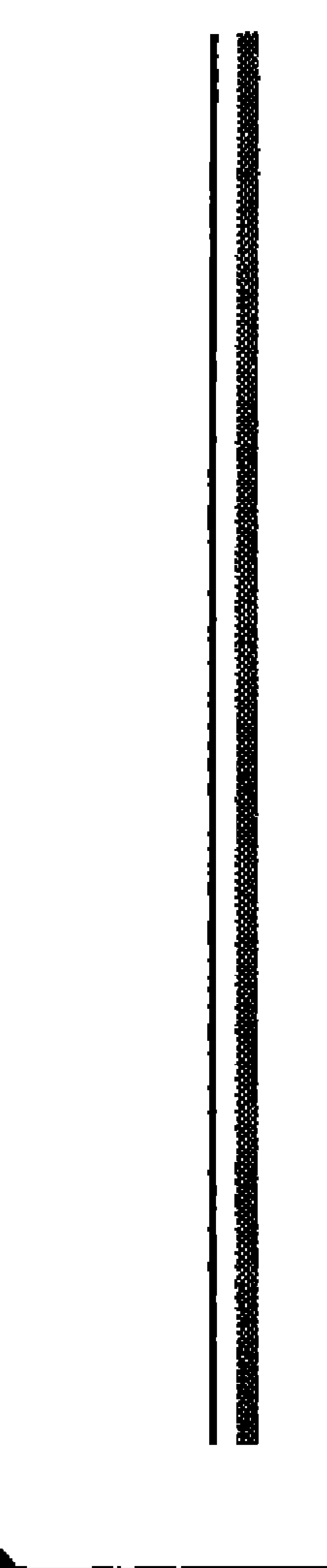
وكان السـادات رحمه الله يقول لى دائما : لقد تـرك لى عبد الناصر تـركة من الحقد لا أعـرف كيف أتعامل معها ، والتركـة مازالت تتكاثر وتتـوالد .. وهى إحدى أكبر المعوقات أمام مستقبلنا .

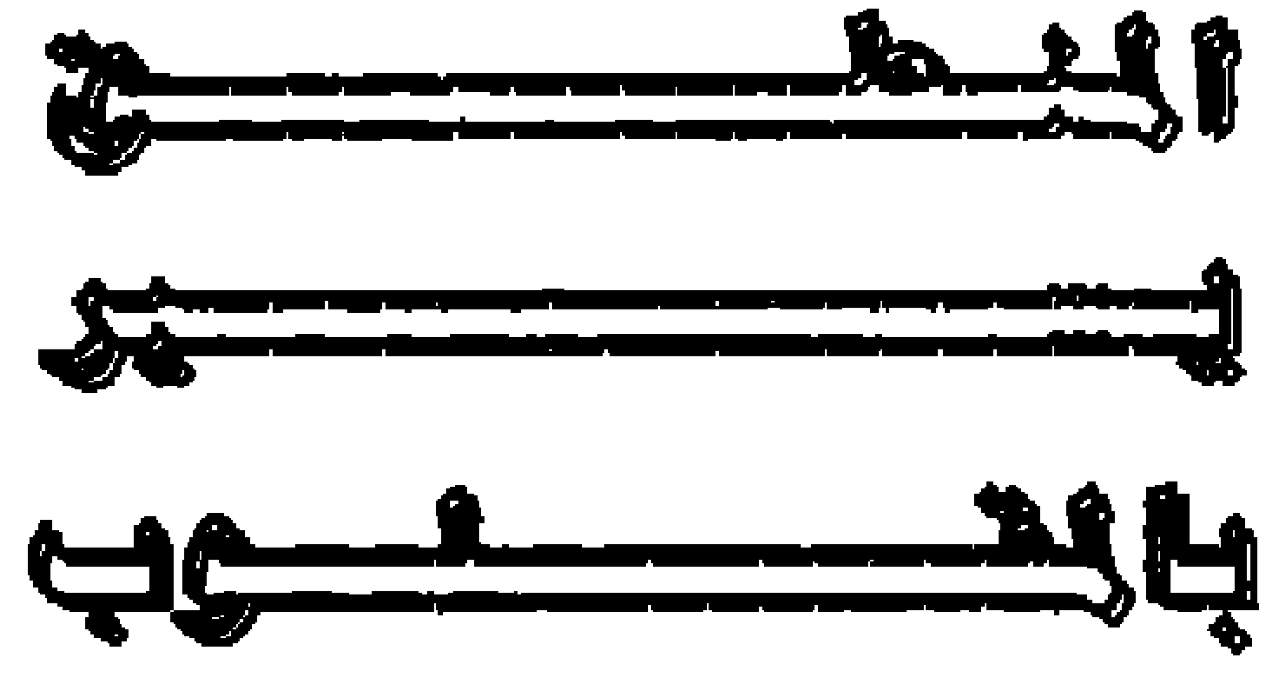
ولكنى متفـائل رغم كل شىء وشـديـد الثقـة بـالمستقبل ، فمصر بلـد المواهب والعقـول الفـذة وهى أيضا بلـد الكنـوز ليس فقط كنـوز البترول والحديد والنحاس والمنجنيـز والذهب واليورانيوم ولكن أيضـا كنوز الآثار والسواحل الجميلة ثم كنوز شبابها التى لا تنفد .

وموقع مصر الجغرافى هو أكبر كنوزها .. وتاريخها وحدة كنز حكمة .

ثم إننا عبرنا سنة أولى ديمقراطية .. وغدا ندخل سنة ثانية ديمقراطية.. ونحن على الدرب السليم .

وكل من على الدرب يصل مهما طال طريقه .





الطريق يمر بالقلوب

فى القاهــرة اطلق مجنون الـرصاص فقتل ثـلاثة من الاجـانب فى فندق سميراميس ، وفى امـريكا بكـاليفورنيـا فى آخـر الدنيـا اطلق مجنون آخـر الرصاص فقتل سبعة .

وما يفعله العقلاء والكبار أحيانا فى هذه الدنيا .. اكثر من الجنون .

أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها لتعيـد الحاكم السابق جون برتراند ارستيد إلى هـايتى ولتخلع الحكـام العسكـريين هنـاك ثم نفـاجأ بأن المخـابـرات الأمـريكية الـــ CIA هى التى كـانت تمول هـؤلاء العسكـريين وتجنـدهم كعملاء ومرشدين وعيون لها فى دولة هايتى .

قوات الأمم المتحـدة تذهب للبوسنة لنجدة المسلمين واسعـافهم با لمواد الغذائيـة والأدوية ثم نفاجأ بأنها تختطف النســاء البوسنويات فى عـرباتها المصحفة إلى جهـات غير معلومة وتقيـم حفلات أغتصاب صـاخبة تمارس فيهـا الجنس بـالاكـراه وتحت تهديد السـلاح ويشترك فى هـذه الحفـلات الصاخبة جنود من كنـدا ونيوزيلاندا وفرنسا واوكرانيـا ودولة افريقية لم يذكر اسمها لاخضاع هؤلاء النسوة البائسـات لشهواتهم .

مـاركوس ودوفـاليه وشـاه ايران وسيـاد برى وصـدام حسين وكلهم عملاء وصنـاعة أمريكيـة مدربـة لاستنزاف ثروات شعـوبهم حتى النخاع لصالح الشركات الاجنبية .. وقد نبـذوا جميعا بعد أداء ادوارهم وانكشاف عمالتهم وقامت الـدول الأجنبية المستفيـدة بتلطيخهم أمام الـرأى العام .. وأعلنت أمريكا حـربا دولية شاملة على رجلهـا صدام حسين .. وقتلت مائة الف من جنـوده وجـوعت شعبـه ولكنهـا ويـا للعجب .. احتفظت بـه حيـا وسليما معـاق لتخيف بـه بقيـة العرب لكى يترامـوا فى احضـانها ويقبلـوا عتباتها .. وإلا ..

سلطنة بـروناى دولـة مسلمة سلطـانها ثروتـه الشخصية ٣٢ مليـار

دولار (أغنى رجل فى العالم) آخر أخباره أنـه اشترى فندق ليونا هيلمس فى أمريكـا ذا الأربعة والخمسين طـابقا .. ومن قبل ذلك اشترى فنـدق بيفرلى هيلز بكاليفورنيا ، ومن قبل ذلك فندق دور تشستر بلندن ، وأمثاله كثيرون فى دول تعيش فـوق خط التخمة .. وإلى جـوارها دول أخـرى تعيش تحت خط الجوع .. ودول اسلامية فى خنـدق الحصار والموت .. ونساء مسلمات تغتصب .. وأطفـال تحرقهم القنـابـل أحيـاء .. ولا ضمائر تتحـرك لتفعل شيئا..

وفى أفغانستـان نقرأ أن حكمتار وربـانى وسياف وشاه مسعـود الذين قـاتلـوا السـوفيت وطـردوهم .. يقتلـون الآن بعضـهم بعضـا بـالقنـابل والصواريخ ويدكون بلدهم بأمـوال وعدد وأسلحة من دول أخرى تغريهم بالانتحار .. وتشجعهم على تمزيق الراية الاسلامية التى حاربوا باسمها .

وفى أيـرلنـدا يقـاتل الكـاثـوليك والبروتستـانت بعضـهم بعضـا تحت مسميات الاستقلال والحرية .

امـا العلم الـذى تقـدم فى عصرالفضـاء ومشـى على القمـر ورحل الى الكـواكب فإنـه الآن يـرسل اقمارا صناعيـة للبث التليفـزيـونى تـذيع على المشاهدين فى كل مكان افـلام العرى والفحش والعهر والمباشرة الجنسية .. كما يحاول استنساخ الاجنـة فى المعامل وتخليق جيوش من التـوائم لمجرد العبث (فهناك انفجار سكانى فى العالم لا يحتمل المزيد) .

والمصـانع لوثت البحـر والبر والجو وخـرقت ادخنتها غـلاف الاوزون الـواقـى .. والبحـر الابيض المتـوسط تحول الى بحيرة مجارى ومستنقع للصرف الصحى لاكثر من عشرين دولة .

والجيش الـروسى يبيع اسلحتـه وترسـانتـه من وراء ظهـر الحكومـة الروسية .

والمافيا الجديدة تسرق اليورانيوم المخصب وتتاجر فى العلماء .

والحكومة الالمانية تقول انها تخسر مليارى دولار سنويا بسبب جرائم المافيا ، وان عدد المجرمين المعتقلين فى سنة واحد مائة الف .

واكبر تجمع لانتـاج المخدرات وتصنيعهـا نجدة فى تـركيا وافغـانستان

وباكستان وكلها دول اسلامية ، والتجمع الثانى فى دول امريكا اللاتينية بوليفيا وكولمبيا والمكسيك واخواتها ، وأربح تجارتين فى العالم هما تجارة المخدرات وتجارة السلاح وارباحهما تكفى لاطعام كل الجوعى وكسوة كل العريانين وتعليم كل الاميين وتشغيل كل جيوش البطالة فى العالم لعدة اجيال .

ولكن ذلك لم يحدث ولن يحدث لأنها ثروات شريرة تتكاثر فى محضن الشر ، وكل من ربح مليونا يريد أن يربح عشرة ، وكل من ربح عشرة ، يريد أن يربح ألفا .. ولا نهاية .. ولا أحد يفكر فى أحد .

وفى بلادنا العربية تغرى الوعود التى تلوح بها اسرائيل لخصوم الأمس .. بأنهار الدولارات والاسواق والمشروعات المشتركة والمعونات السيالة .. بنسيان القضية .. فيهرول الكل الى الاعتاب ولا يسأل احد عن الانسحاب .. ويوقع الكل على مجرد الوعود .. ويرتضون بالاشارة والله اعلم بالعبارة .

فما الغرابة يا سادة والمنطق يسير بالمقلوب فى ان يصاب البعض بالجنون .

انما العجب كل العجب يا سادة ان يظل الواحد منا محتفظا بعقله .. وان يستطيع تجميع هذه المعلومات وان يضعها مرتبة على الورق .. وان يصرخ باعلى صوته : افيقوا ايا الناس يرحمكم الله .

كيف تفعلون بانفسكم كل هذا .. وأنتم غدا ميتون .. ثم امام الله واقفون ثم لا يبقى لكم بعد هذا الا نياتكم وما تعملون ..

وانا معكم اننا نعيش فى فوضى .. وان الجنون هو الذى يحكم .. وان الشياطين هم الذين يقودون العالم .. ولكن منذ متى وفى اى زمان ومكان كانت هناك عدالة وكان هناك سلام وكانت الدنيا جنة ؟! .

منذ الاسرة الاولى فى التاريخ ادم واولاده .. قتل قابيل هابيل .. وقتل اليهود انبياءهم .. واباد الامريكان الهنود الحمر.. واختطفت بريطانيا ١٥ مليون افريقى وباعتهم فى اسواق النخاسة واستعملتهم فى بناء الامبراطورية .. ثم جاء مسلسل الفرس والروم والهكسوس والمغول والتتار

والوندال ومسلسل حروب الابادة حتى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما .. ومازال كل هذا حيا فى اذهاننا ..

نعم هنالك فارق كبير بين الامس واليوم .. بالأمس كان اقصى مايستطيع السيف ان يفعل ان يقتل فردا واحدا وكذلك الحجر والعصى والسهم ..

اما اليوم فالقنبلة الذرية قتلت مائة وخمسين الفا فى لحظة واحدة ، وخلفت الوفا بلا عدد للسرطان والحروق والتشوهات والموت البطيء ..

والقنبلة الهيدروجينية سوف تقتل الملايين بلمسة زرار !

وبالامس كان الخبر يركب حمارا ويصلنا بعد شهور .. وكانت كل اطراف الارض معزولة بعضها عن البعض كالجزر العائمة ..

واليوم تصلنا الاخبار بأسرع من البرق ويتصل العالم كله عبر الاقمار ويتحادث ويتشاجر ويشاهد بعضه بعضا على الشاشات التليفزيونية فى لحظتها .. والظلم يهاجمنا فى عدة اماكن فى وقت واحد .

نعم .. الظلم كان فى حالة عرض مستمر منذ ادم .. ولكن العرض الآن درامى وفاجع ولحظى ومكثف ويأتينا من كل اطراف الدنيا فى ذات الوقت وينقض على حواسنا واعصابنا ويفجر دماغنا فلا يملك الواحد الا ان يصرخ مستنجدا : رحمتك يارب ..

نعم لم تعد هناك وقاية من الجنون ولا حافظ من الانهيار سوى ان يلوذ الواحد منا بالله وان يتشبث بايمانه .. فلم يرد الله بالدنيا ان تكون سلاما أو راحة أو جنه ، بل وصفها بالدونية وقال انها دنيا وأنها دار بلاء ودار عبور ومرور وترنزيت وانه لا قرار فيها ولا سكن .. وانما القرار عنده.. والقرآن كله اوامر بالصبر على بلاء الدنيا عبر سبعمئة واحدى عشرة صفحة هى مجموع صفحاته ..

وجاء الامر المباشر بالصبر اكثر من مائة مرة .. وليس مجرد الصبر بل الصبر الجميل ..

« فاصبر صبرا جميلا » (٥ ـ المعارج) .

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » (١٠ ـ المزمل) .

« قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل» (١٨ ـ يوسف)

والصبر لا يكـون جميـلا إذا اتصف بالقبـول والتفهم وسعـة الصـدر وادراك الحكمة واليقين بالآخرة وتوقع المثوبة .

ولايكـون الصبر جميـلا إلا بمعرفـة الله وحسن الظن بـه .. ولا يكـون جميلا إلا إذا اقترن بالشكر « صبار شكور » ..

والصبر الجميل شهـادة اسـلام حقيقى لمن يقـدر عليه ، وطـوق نجـاة وحيد فى عصر مضطرب يتزلزل فيه كل شىء ..

ولا أقـول لكل شـاب : لا تفـارق مسدسك .. بل أقول لـه : لا تفـارق سجادة صـلاتك .. فـالصبر والصلاة هما حـارساك ولا غير ، إذا أردت أن تحتفظ بعقلك فى مهب الريح ..

وأقول لـه : انى نقبت فى كتب الطب والحكمة والفلسفة فلم أجد عـلاجا غير ذلك للحفاظ على سلامة العقل وسكينـة النفس فى زمان أصبحت الحياة فيه ملاحة صعبة فى بحار بلا شطآن .

ولعله المخاض الذى يؤذن بميلاد جديد والظلام الذى يبشر بالفجر .

ولعل الله وقد كلفنا المزيد من الصبر قد أراد لنا المزيد من الأجر ..

ولنحسن الظن بالله فهذا خلق المؤمن ..

وهذا أفضل الزاد للمقبل على سفر طويل ..

وكلنا هذا المسافر ..

أما الـذين فقدوا الايمان وفقـدوا الصبر فليس أمامهم إلا بـاب البار فى الدنيا وباب النار فى الآخر وراحة الجنون فى الترانزيت .

وكان الله فى العون ..

رجل بألف مليون رجل

اسمـه جورج سـوروس ـــ يهودى مجرى ـــ مليارديـر تبرع بخمسين مليون دولار لمنكـوبى البوسنـة والهرسك وخصص هذا المبلغ لبنـاء محطة مياه تحت الأرض فى سراييفـو لا تستطيع الصواريخ والقنابل أن تدمـرها ، واستجلب لها المهنـدسين والخبراء والمعدات وسـوف تبـدأ هذه المحطـة فى العمل خـلال أيام وسـوف تقـوم بشفط المياه العـذبـة من النهر ثم تقـوم بعمليات التنقية والترشيح والفلترة ثم تضخ الميـاه النقية الى البيوت وبذلك

تضمن لثلاثمائة وخمسين ألـف مواطن بوسنى مسلـم محاصر حصته من المياه الصالحة للشرب .

هذا العمل الخير والنبيل قام به رجل واحد وأنفق عليه من ماله الخاص ، وكـان مجموع مـاتبرع بـه مساويـا لما تبرعت بـه ٤٧ دولـة اسلاميـة فى مؤتمرها الأخير « خمسين مليون دولار من ألف مليون مسلم !! »

وقد رأيت هذه المحطة على شاشات الـ C.N.N. منذ أيام .

وسألوا الـرجل عن الدافع الـذى حدا به الى هـذا العمل فقال : إننى أرى المجازر والمذابح التى فعلها هتلر باليهود تتكرر أمامى مع المسلمين ، وهذا أمر لايجوز أن نسمح به أبدا .. هذا أمر شائن ..

وظهر فى صوته التأثر الشديد وهو يقول بنبرة متهدجة :

وللأسف يوشك المعتدى أن يفوز بثمرة عدوانه والعالم ساكت يتفرج !

واحترمت الـرجل ودعوت لـه من قلبى أن يتقبل الله عمله وأن يجعلـه فى ميزان حسناته يوم القيامة ..

وربنا الكريم لاتضيع عنده المروءات ولا يضيع الاحسان .

ولم يذم الله عامة اليهود إلا واستثنى منهم القليل من أهل الصلاح .

« فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم » (٢٤٦ ـ البقرة)

ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » (١٣ ـ المائدة)

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم » (٢٤ ـ ص)

وهؤلاء القليل هم الأعمدة والأركان التى يحفظ بها الله الأرض

وتمنيت أن يكون من أغنيـائنا ـ وهم كثير ـ من يفعل مثلـه مع منكوبى البوسنة .

وليس الكـرم وحده هـو الذى أثار اعجـابى وإنما حسن توظيف هـذا الكرم ومتابعته للمال حتى أثمر عملا ثمينا وخدمة ثمينة هى انقاذ ثلاثمائة وخمسين ألف محاصر من الموت عطشا فى صقيع لايرحم ..

نعم .. مازال فى الدنيا خير ..

ومازالت جديرة بأن نحياها ..

●●●

أعجـب القضـــايا

لا حديث فى الشـارع الأمريكى اليوم إلا عـن هذه الزوجـة العجيبة التى اغتصبها زوجها فى الفراش « هكذا تقـول » فانتظرت وهى تطحن أضراسـها من الغيظ حتى نـام ثم أتت بسكين المطبخ وقطعـت عضـوه الـذكـرى .. واستيقظ الـزوج البـائس على المصيبة وهـو غـارق فى دمـه وذهب يصرخ للبـوليس ورفع قضيـة اعتـداء جنائى على زوجتـه .. وتصـدرت القضيـة الصفحات الأولى فى جميع الصحف .

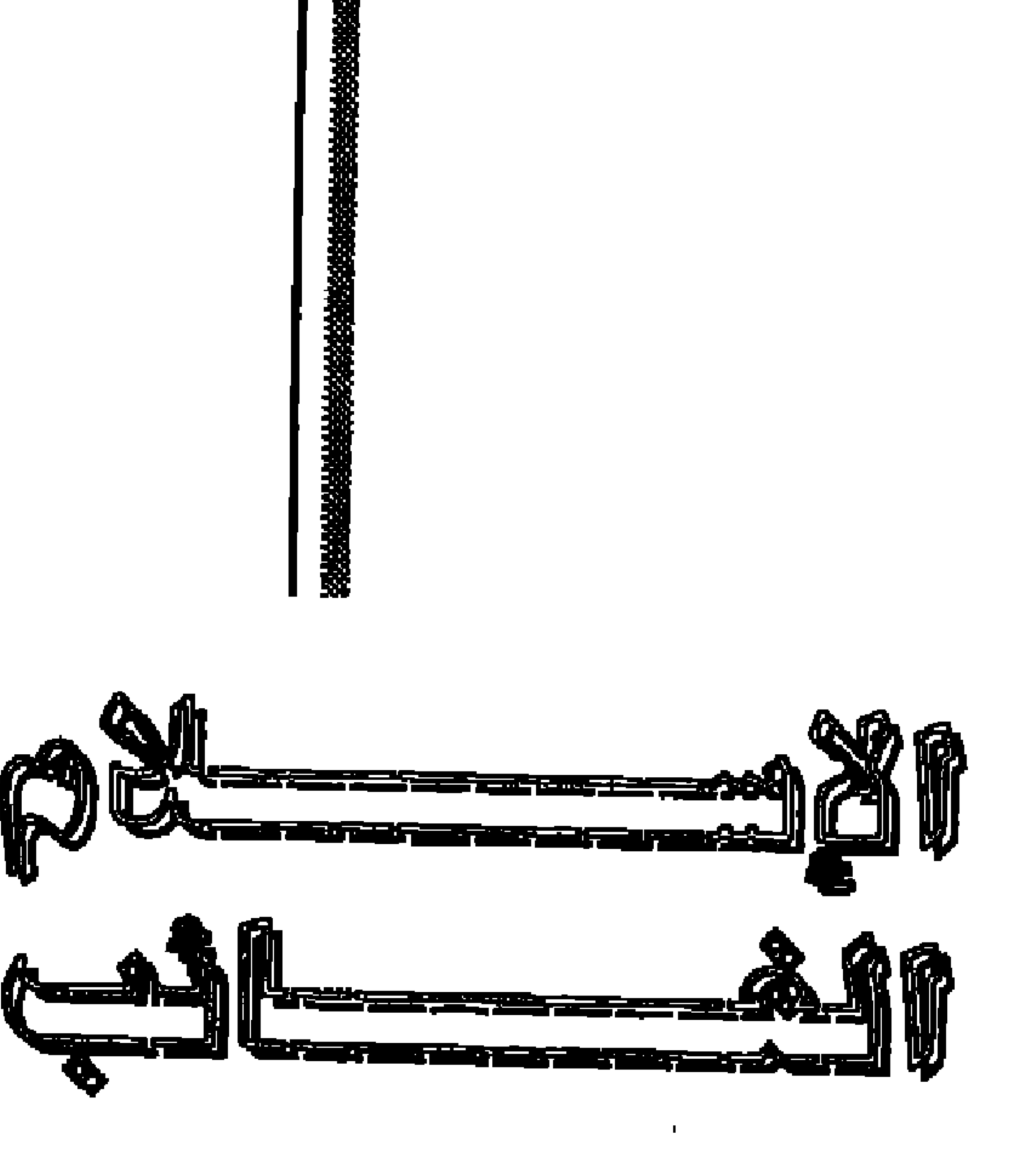
وفى حوار على شاشـة الـ C.N.N مع جمع من الزوجـات الأمريكيات قالت احـداهن : برافـو هذه الزوجـة قامت بعمل بطـولى وانتقمت لجنسنا الضعيف المهضوم .. هذا عمل تاريخى وقضية تاريخية .

ولاشك أن الكثير من الأزواج فى أمـريكـا يـرتجفـون الآن رعبـا من احتمالات المستقبل ، والكثير من الشباب سـوف يفكرون أكثـر من مرة قبل الاقدام على الزواج خوفا من أن تتكرر أمثال هذه البطولات ..

أما القضيـة الثانية فهى فضيحـة مدويـة اهتز لها المجتمع الكنسى فى أمريكا وأوربـا وأصبحت حديث الشارع الأمريكى والصحـف الأمريكية .. فقد تقدم الشاب ستيفـان كوك الى النيابة يتهم كردينال شيكـاجو جوزيف برنـاردين بالاعتداء عليه جنسيـا .. وقال وهو يبكى أمـام الـC. N. N إن الكـردينال غمـره بالهدايـا وانه لم يستطع أن يقـاوم رغبات رجل فى مقـام دينى عظيم وفى هيبة الكردينال .. وقد أنكـر الكردينال هذه الاتهامات جملة وتفصيلا وقال : انها تخيلات فى ذهن مخبول ..

اما ستيفـان كوك وهـو طالب فى جـامعة سنستـاتى فيصر على اتهامه ويقـــول : ان أقل مـــايجب على رجل ديـن فى أعلى منصب فى الكنيســـة الكاثوليكية مثل الكردينال هو أن يعترف بالحقيقة ويستقيل ويترك منصب الكردينالية لمن يستحقه ..

وستظل أمريكا بلد العجائب !!


الإسلام
الغالب

أحيانـا لا أصدق وأنـا أرى ما يحدث فى البـوسنة أن هنـاك ألف مليون مسلم فى العالم .

وأقـول لنفسى أين هم ؟! ولا أحلم بأن أراهم جيـوشـا زاحفـة .. وإنما فقط أريد أن أسمع صوتهم .

إن الإسلام لاشـك غائب عن المعـركة .. إنه يحارب فى الضمائر ويقـاتل على الورق ويكـافح فى ميكروفونات المسـاجد ولكن لا وجود له خـارج هذه الحدود .

الإسلام كأخلاقيـات وقيم ومبادىء ومثل وإنسانيات رفيعـة وشهامة وصدق وأمانة وشجاعة لا وجود لـه فى الساحة .. وإن وجد فوجود شاحب خافت النبرة .

والـدول الإسـلاميـة بعضـهـا محتل وبعضـهـا تـابع وبعضـهـا مـدين وبعضـهـا عميل وبعضـهـا منكفىء على نفســه وبعضـهـا يضرب بعضـهـا ، وبعضـها غارق إلى أذنيه فى مشاكله وفقره وتخلفه .

والجماعات التى تحمل السلاح وتقـول إنها جماعات الجهاد الإسلامى وطـلائع الفتح والناجـون من النـار والتكفير والهجرة . كلهـا لا تنتمى إلى الإسلام وإنما تعمل لحسـاب أعدائه وتفجر القنـابل عشوائيـا فى الشوارع لتدمر بلادها وتلطخ الراية التى تحملهـا لحساب الذين يدفعون هنا وهناك من بلاد عربية وأجنبية ولتشبع أحقادا لا تشبع .

الإسلام غـائب عن المعركة .. ولا وجـود له إلا فى عيون دامعـة ونفوس مكبوته وقلوب كظيمة .. ومشـاعر فواره لا تجد لها مخرجا سوى كلمات ..

لا إلــه إلا الله .. لا حول ولا قــوة إلا بالله .. حسبنــا الله ونعم الوكيل .. إنــا لله وإنا إليه راجعون .

ولكن هذا الوجــود الغائب رغم عجزه هو القنبلة الموقوتــة التى يخشاها الغرب لأنه يعلم بمقدار هذه الطاقة المحبوســة فى ذلك الكيان الذرى الهش الذى اسمه الدول الإسلامية وفى امكانية تفجر هذه الطاقة .

وإسرائيل موضوعة فى فم هذا البركان لتسكت صوته إلى الأبد .

فهل تستطيع .. ؟؟ هل تستطيع بكل ما أوتيت من سند ومدد .. ؟؟

إن فكرة السلام وفكرة ترويض الثــورة الفلسطينية وفكرة فتح الشهية للدولارات والمعونات بالتلــويح بالسوق الشرق أوسطية لضخ أنهار المال فى فــوهة البركــان لملء البطون بــالــدنيا ولــذائذها واسكــات الضمائر وشغل النفوس الهائجة بــالتافة من القول .. كلها أفكــار ذكية وهى فى دور التنفيذ حاليا .

ومن لا تسكتة تلك الــرشاوى يمكن أن تسكته طلقة مســدس تشيعه إلى مقره الأخير وهــو ما يجرى بــالفعل .. ومن لا ينفع فيه هــذا ولا ذاك سوف تتكفل به الأقمار الفضائية بسهرات حمراء ممتعة إلى الفجر .

كل هذا عظيم وعبقرى وشديد الــذكاء ولكن الحسابات هذه المرة سوف تخطىء لأنها لا تتعــامل مع آلات وأنظمـــة ميكــانيكــة وإنما مع بشر .. مع شىء اسمه الإنسان .. والإنسان لغــز لا يمكن التنبؤ بشكل قطعى بالحركة التى يمكن أن يقــوم بها فجأة .. لأن نيــاته غــير داخلــة فى الحســاب .. وهى غيب لا ينفع فيه الكــومبيوتر .. ثــم إن وراء الإنسان غيبا أعمق وأخطــر هو الذات الإلهية التى خلقته وهى من عالم الإبهام الــذى لا قبل لأحد بالإحاطة به .

والمخططون الكبــار للفتن قــد أراحوا أنفســهم من هــذه المتــاهات فهم لا يــؤمنون بها وهم شــديــدو الثقة بحســاباتهم الماديــة وكــومبيوتــراتهم (السوبر كومبيوتر يحسب ٤٥٠ مليون عملية حسابية فى أقل من ثانية) .. هكــذا يقــولون .. وهــم فرحــون بما عنــدهم من العلم .. ومن هنــا ســوف يؤخذون .

وهذه هى الثغرة التى لم يحسبوا حسابها .

يقول ربنا فى كتابه :

فلما نسوا ماذ كروا به فتحنـا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٤ ـ ٤٥ الأنعام) .

هذه قصص الأقوام الغابرة وكيف قطع الله دابرها.

ولكن التاريخ يكرر نفسه فى سنن مطردة .

(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (٤٣ ـ فاطر)

وما حدث فى الماضى سوف يتكرر

(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)(٨ ـ الإسراء) .

وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وما بلغ القمر ذروة اكتماله إلى عاد هلالا فى المحاق .

وما بلغت دولة قمتها إلا بدأ العد التنازلى للسقوط لهاويتها .

وما بلغ الإنسان غاية شبابه ونضجه ورجولته إلا ونادته شيخوخته

وفى كل حضاره بشريـة جرثومـة فنائها .. وهى تنخـر فيها ببطء حتى تأتى على بنيانها كله فيتهاوى على الأرض دفعة واحدة .

والسعداء الـذين سيمتد بهم العمـر إلى السنوات العشر القادمـة سوف يشهدون تغير الأحوال وتبـدل الأقدار ،وسوف يرون مـا لا يخطر لهم على بال ، وسوف يفهمون كلمات الله المحكمات فى قرآنه العظيم :

(وتلك الأيام نداولها بين الناس)

ومن يضحك أخيرا سوف يضحك كثيرا .

والصبر طيب .

الســلام العجيب

وهـو سلام عجيب فعـلا ، فعـد القتلى من الفلسطينيين الذى تحصـده رشـاشات المستـوطنين اليهود فى غـزة والضفـة أضعاف العـدد الذى كنـا نسمع عنـه أيـام حـرب الانتفـاضـة .. والمعتـدون هـذه المرة هم اليهـود والبـادئون بـالشر هم الجانب الإسرائيلى .. فأى سلام هـذا .. وإذا استمـر

الجانب الفلسطينى يـرد من منطق الجانب الأضـعف ، وإذا ظلت الصـلابـة الفلسطينية تتهاوى تحت الوعود الوهمية بالسلام .. فإن النتيجة لن تكون إلا مزيدا من التراجع حتى يصبح ظهر الجميع إلى الجدار .

وإذا كان الفلسطينى يريد السلام بالفعل فليعلم تماما أنه لن يأخذه إلا بالقوة وإلا بأن يرد الصـاع صاعين وليس بأن يتخاذل ويتمسح بأنصاف الحلول وبأوهام الانسحاب .

إن الصرب فى البوسنة يتفاوضون على السلام ويضربون .. والمسلمون يجلسون على مائدة السلام ويلتحمون بـالسلاح الأبيض فى الميدان .. وهذا منطق العصر الظـالم الدمـوى الـذى نعيش فيه .. لا كسب لشبر واحـد إلا بالدم حتى على موائد المفاوضات .

فلينفض يـاسر عـرفـات ذلك الفراش الـوثير اللين الـذى استسلم فيـه لأحلامــه وليعاود الكفاح من مـوقف القوة لا من موقف التخـاذل والملاينة واستجداء المعونـات من هنا وهناك . وإذا كان يـريد الصلح فلن يجده إلا غلابا وبالسلاح الأبيض .. ولينظر إلى مقـاتلى « حماس » باعتبارهم جناحه الآخر الذى يفاوض به وليس خصومه الذين يطاردهم لتصفيتهم كما يريد أحبابه الجدد .

إن العالم الـذى نعيش فيه هو مع التفـاؤل الشديـد ساحة للمصـارعة الحرة .. أمريكـا واليابان والصين مصارعـون من الوزن الثقيل .. وإنجلترا وألمانيا ودول أوروبـا من الوزن المتوسط .. وكـوريا وسنغافورة وتـايوان وهونج كونج من الوزن الخفيف .. والأفارقة من وزن الذبابة .

وأحيـانا تـدوخ الذبـابة الفيل .. ومن أنـواع الذبـاب ذبابـة تسى تسى القاتلة .

ولا مانع من الأحلام أحيانا ..

والغائب لن يطول غيابه ..

ولا شىء كثير على الله .

السياسة بلا أخلاق

تفاصيل التحقيق مع وزارة تاتشر فى صفقات السلاح التى كانت تبيعها لصدام حسين حتى أواخر عام ١٩٩٠ كشفت النقاب عن أسرار كثيرة مثيرة

وراء كواليس السيـاسـة البريطانية .. والكـلام لإذاعة B. B. C لندن وليس من عندنا .

والحقائق تقول إنه فى أشد أوقات حظر السلاح على الأطراف المتقاتلة فى الحرب العراقيـة الإيرانية كانت بـريطانيا تخرق هـذا الحظر (مع أنها هـى التى أصـدرت هذا الحظـر وشـددت عليه) وكـانت تـورد السلاح لصـدام حسين عبر أكثر من شركة من شركات السلاح البريطانية .

وحينما كانت مسز تاتشر تشتم صدام حسين على شاشات التليفزيون تلك الشتائم المقـذعة التى كنا نسمعهـا فإنها كانت تمده بالأسلحـة الثقيلة عن طريق الأردن .. وحينما كـانت تتحدث فى فزع عن المدفع العمـلاق الذى يصنعـه كـانت فى نفس اللحظـة تمده بـالمواسير الصلب التى يصنع بها مدفعه.. وكان صدام قد اكتسح الكويت بجيشه .

وحينما سئل الوزير المسئول عن هـذه الفزورة قال : إن المصالح شىء والتصريحات شىء آخـر .. وفى عـالم السياسـة ليس كل مـا يفعل يقـال .. ومصلحـة بـريطانيـا كـانت فى إمـداد صـدام حسين بالسـلاح لأسبـاب اقتصاديـة حتى لا تذهب دولاراته إلى شركـات أخرى منافسـة ، ولأسباب أخـرى هى المصـالح السياسية البريطانية فى المدى البعيـد .. انتهى كلام الـ B. B. C

وأظن أننـا جميعا نعلم الآن تلك المصـالح السياسيـة فى المدى البعيد .. وهى أن يطمئن صدام أكثر وأكثر إلى الصداقـة البريطانية وإلى مدد السلاح الـذى لن يتوقف (رغم الشتـائم والاتهامـات على شاشـات التليفزيـون) فيتوغل أكثر وأكثر فى عدوانه ويأخـذه الغرور بأنه مسنود وأن عنده جواز مـرور إلى أرض الكـويت وبـذلك يقع فى الفخ المرسـوم حيث كـان الحلفـاء يجهزون المذبحـة النهائية لجيشه ومعـركة التدمير الشامل لأكـوام العتاد الحربى الـذى بـاعوه لـه بـالأمس ، وهى مصلحـة أخرى فى المدى البعيـد فسوف تعمـل المصانع البريطـانية والأمريكيـة من جديـد لتعويض مـا تم تدميره وكلـه مكسب مادام العـربى ذو الدشداشـة هو الـذى سيدفع ثمن التدمير وثمن الإصلاح وثمن السلام الجديد المطلوب .

وهكذا نـامت الأخلاق وأخـذ الشرف أجازه وأملـت ا لمصلحة ضروراتها وتكلمت مســز تاتشر فى التليفـزيون بلغـة وتكلمت بينهـا وبين بوش بلغـة أخرى .. وصرحـت للصحف بتصريحات وباشرت فى غـرفة القيـادة السرية أوامر أخرى تماما غير تلك التصريحات

وأظن أن مـا أذاعته الـــ B. B. C هـو أبلغ رد على الذين أنكـروا الجانب التآمـرى فى ا لحرب العراقيـة الكويتيـة ، ومن قبل ذلك فى الحرب العـراقية الإيرانية .

ويبدو أنها سنة قديمة فى البرتوكول السياسى للدول الكبرى أن تشترى المجرمين وتصنعهم وتربيهم ليكـونوا حكاما أشـاوس أمثال صدام حسين وسيـاد بـرى ومـوبوتـو ومـاركـوس ودوفـاليـه وليكونـوا عمـلاءهـا فى مستعمراتها التى رحلت عنهـا واستقلت اسميا وظاهريـا . وليكونوا أدواتها لبقاء مصالحها وكلمتها ونفوذها إلى الأبد .

وهكذا السياسة دائما بلا أخلاق .

وفى النكتـة القديمـة التى قالها تشرشل تلخيص ذكى لكل هـذا .. حينما كان يتجول فى المقابر ورأى شاهد مقبرة من الـرخام مكتوبا عليه : هنا يرقد السياســى العظيم والرجل الصــادق الأمين فلان .. فقال تشرشــل فى دهشة :هذه أول مرة أرى فيها اثنين يرقدان فى تابوت واحد ..

فقـد كـان من المستحيل فى نظـر تشرشل أن يكـون السيـاسى العظيم صادقا .. ولابد أن يكون هناك رجل آخر فى التابوت بجواره .

وتشرشل أدرى منا ولاشك بأمور السياسة .

ولا أعمم فلكل قاعدة شواذ والعلم عند الله .

على عزت بيجوفتش

فى كل يـوم يكسب المقـاتل العنيـد على عزت بيجـوفتش احترامى أكثـر فأكثر .. فنحن أمام طراز من القادة العظـام من أمثـــال « هوشى منــه » لا يضع سلاحه أمام الجبروت ولا ينحنى أمام التهديد .

رجل عنيـد صلب لا يتراجع ولا يضعف ولا يتردد ولا يهادن ولا يـداهن رغم أن الموت يحاصره والصواريخ تتساقط عليه والقنابل تتفجر حوله .

إن وحشية الصرب التى بلغت أقصى مداها لم تترك لأحد فى البوسنة اختيارا .. فمادام الموت قادما فلنقابله بشرف .

إن قلة الزاد وضعف العتاد ليستا ذريعة لقبول الذل .

إن كل العائدين من البوسنة يقولون إن القسوة والنذالة الصربية لم تقتل الإسلام هناك وإنما بعثته من مرقده عاتيا عصيا .

وأمام اليأس والموت وعدم النصرة من الدول الإسلامية اتجهت كل القلوب إلى الله وحده ..

كلهم يقولون : الله وحده هو القادر على أن ينجدنا .. وسوف يجعل لنا مخرجا .

وفى إيمان عجيب يركعون ويسجدون ويصلون ويحملون المصاحف .

وفى إيمان عجيب يقبلون فى هدوء كل ما تأتى به المقادير .. ولا يخشون انكسارا ، ولا يأبهون بهزيمة .. ويقولون نحن نقاتل لأن قتال الشر واجب وما يجرى علينا هو أمر الله ونحن نقبله .

وفى ساعات الفراغ يتعلمون العربية ويحفظون القرآن .

وفى وسط الموت والدمار تستمر الحياة فى سراييفو .. الجامعات مفتوحة والطلبة يذهبون لتلقى العلم .. والموظفون يذهبون إلى مكاتبهم بانتظام رغم إنهم لا يتقاضون رواتبهم .. والأطفال يلعبون الكرة فى الملاعب .. ويسقط القتلى ويدفنون .. والأحياء يأكلون حشيش الأرض إذا لم يجدوا ما يأكلونه .. وتمضى الحياة فى إصرار وكأن لا شىء حدث .

وفى كتاب يحيى غانم المراسل الحربى للأهرام .. « كنت هناك » يقرأ القارىء صورة مشرفة لشعب بطل سوف يظل صامدا مقاتلا لعشرين شتاء قادم .

وبين الصفحات المشتعلة .. يشعر القارىء أن الإسلام الغائب سوف يعود .. وسوف يملأ الدنيا نورا من جديد.

هذا الوزير الفرنسي

وزير الدفاع الفرنسى يجتمع بمسئولين عسكريين فى اسبانيا وايطاليا ويقول انه بصدد تكوين جيش طوارىء من الدول الثلاث لمواجهة

الاصوليـة الاسلامية .. لا يقـول الارهاب الاسلامى أو التطـرف الاسلامى بل يقول الأصـولية الاسلاميـة التى أصبحت العدو الـذى يهدد الحضارة الاوروبية على حد قوله .

الا يعلم هذا الـوزير أن المملكة العـربية السعـودية هى مهد الاصـولية الاسـلامية وان ايـران تحكمهـا اصوليـة اسلاميـة وأن بـاكستان ولـدت كاصولية اسـلامية .. وأن أزهر مصر هو قلعة الأصوليـة الاسلامية ومثلها قلعة الزيتـونة فى تونس والقرويين فى المغـرب والنجف فى العراق .. وأن كل مفكر وكل كاتب اسلامى فى بـلاد المشرق هو اصولى اسلامى بالضرورة .. وكل ساجد وراكع هو مسلم وصولى .

الا يرى السيد الوزير الذى يتكلم من موقع المسئولية ما يفعله التحالف الاوروبى الصربى للمسلمين فى البوسنة وجريمة هذا التحالف الذى يتألف من فرنسـا وانجلترا وروسيا واليونان ورومـانيا والفاتيكان والـذى تدعمه امريكـا بسكوتها .. هـذا التحالف الـذى عجز عن سحق الجيش البـوسنى المسلم الصغير الذى يحارب ببنادق قديمة رغم عدوان مسلح شرس استمر قرابة السنتين يضرب هذه الحفنـة الصغيرة الصامدة من الجو ومن الارض بالصـواريخ والقنابـل .. ولم يكن فى البوسنـة اصوليـة ولا اصوليين وانما بضعة اثـار اسلامية ومكتبـات ومآذن ينطلق منهـا صوت (الله اكبر) على استحياء فى ربـوع اوروبا وكانت هذه هى جـريمتهم الوحيدة التى عـوقبوا عليها .

وارادوا خنق هذا الصوت وهدموا المآذن ودمروا المساجد ولكن الصوت ارتفع دويـه .. وصرخة الله اكبر جلجلت من حنـاجـر ثلاثمائة الاف جنـدى كلما انطلقت رصاصة .. والذين لم يكونوا اصوليين اصبحوا اصوليين ومن كـان لم يصلى اصبح يصلى ومـن كـان لا يعـرف القـرآن اصبح يحتضن المصحف فى صحوه ونومه .

الا يكتفى السيـد الـوزير المسئـول بهذا العـار الاوروبى وهـذا الحلف المخجل الـذى تحالف بالنـار والـدمار والسـلاح والعتاد على شعب اعـزل محاصر تحت الجليـد .. فيعلن عن تكوين قـوات تـدخل سريع من فرنسـا

واسبانيا وايطاليا للتصدى للاصـولية الاسلامية فى جنوب البحر المتوسط (وهو جنوب ممتد بطول مصر وتـونس وليبيا والجزائر والمغرب وعمقا الى السودان والنيجر وتشاد وارتريا والصومال) .

ما هـذه الرائحـة الصليبية اليهوديـة التى تفوح من فم وزيـر فرنسى متحضر ومـا هـذه الكتـائب الجديـدة التى سـوف تتصـدى لـلاصـوليـة الاسلامية ..

وهل استطاعت الصهيونية ان تستنفر غزوة احزاب اخرى يجتمع فيها الاحمر والابيض والاصفر على قتالنا .

لقـد كدت اكـذب اذنى وانـا اسمع اذاعة لنـدن تعلن عن هـذا التشكيل العسكرى الجديد .

ولكن يبدو ان النذر تتجمع فى الافق باسرع مما نظن .. والمواجهة الاولى ستكون فى الجزائر غالبا .

ولكن ماذا فعلت الاصـولية الاسلاميـة المغلوبة على امرهـا والمكسورة الجناح لتخيفهم الى هذه الدرجة .. ؟!

اما اننا اقوياء ومخيفون ولا نعلم من امر قواتنا شيئا .. ؟!

نعم يا سـادة نحن مرضى ضعفاء الاجسـام فقراء مغلوبون على امـرنا ولكن بداخلنا قوة روحية هائلة لا ندرى بها ومارد نائم لا نعلم مدى قوته .

وانظـروا الى المقاتل البـوسنى الـذى يقاتل تحت الجليـد امما اوروبيـة بأسرها وهو لا يملك سوى الله أكبر .. وايمانا لا يقهر .. وبندقية قديمة .

وهذا الايمان هو ما يخيفهم .

هذا الايمان الذى يزلزل الجبال ولا يزول .

نعم يا سادة .. نحن مخيفون فعلا .. وقد صدق حسدهم .

ومن اجل هذا سوف ننتصر رغم جميع الحسابات التى تقول غير ذلك .

وغداً تذهب السكرة

وتأتي الفكرة

انهيــار الامبراطـوريــة الروســـية فتح البــاب لكــلاب الصـــيد (صـيدالأسواق) لتتهارش ويســابق بعضها بعضا على اللقمـة .. اليـابان العملاقة لا تريد أن توارب الباب لـدخول السيارات الأمريكية ولتدفق الأرز الأمريكى .. والصين توشك أن تكون العمـلاق رقم ٢ فى العام القادم وعينها على الأسواق الآسيـوية الهائلـة، وأمريكـا تغازل العمـلاق الصينى وتهدد وتتوعـد بفتح ملف حقوق الانسان ، ثم تبعث الـرسل بالتحيات المباركات من كلينتون لاقتسـام اللقمة الكبيرة الموجودة .. والسوق الأوربيـة المتحدة تخشى من الابتلاغ الأمريكى وتصر على شروط «الجات » وعلى التنافس مع الأمريكـان بمنتجات زراعيـة مدعـومة وبـالتالى أرخـص سعرا..وأمـريكا تـرفض وتصر على الرفض .. وألمانيـا غـارقة فى مشـاكل الـوحدة الألمانيـة ونفقـاتها وهـى تنظرفى رعب الى أجـر العامل فى ألمانيـا الذى تجاوز الــ ٢٥ دولارا فى الساعـة وإلى أجر العامـل فى الصين الذى يقل عن دولار وتحسب حسـاب المنـافسـة الجديـدة الخاسرة مع عـالم النمل .. ولكنهـا تحتشـد وتتربص وتنافس فى اللعبـة بصناعة متفوقة ومـارك ألمانى زهيد الثمن ..ثم عيـون الكل على أسواق الشرق الأوسط وخطـة الجميع ان تظل دول الشرق الأوسط جميعهـا عبيد إحسـان ورهـائن تخلف وعصـابات يقتل بعضهـا البعض وتشترى الســلاح من اليمين والشمال ، والخطــة المستمــرة هى الايقاع بين العــرب وايران ، واتهام ايـران بأنها وراء كل قنبلـة تنفجر فى أى شارع عـربى لإشعـال حرب إســلامية امتـدادا لما حدث بـاشعالهم لحرب عراقيـة ـ إيـرانية ثم لحرب عراقيـة ـ كويتيـة، وتدمير السـلاح العربى ثم إعـادة تـوريده، وتـدمير المدن ثم إعـادة بنـائها فى سلسلـة من العمليـات

وتضاعف المال الأجنبي، وتعالج البطالة عندهم وتسد فائض العجز فى خزائنهم وترمي بنا نحن فى حضيض الديون وفى هاوية الربا والفوائد المركبة والخراب .. ونحن نصادق على كل مايصلنا من وكالات أنبائهم .. فإذا قالت ان العدوان على رئيس وزرائنا تدبير إيرانى قلنا فى ببغائية : نعم هو تدبير ايرانى .. رغم أن كلامهم يناقض تحقيقاتنا التى :تقول : إن التحريض والأموال قادمة من أفغانستان !. وعصابة أفغانستان ـ كماهو معلوم ــ تمويلها من المخابرات الأمريكية الـ CIA وهى فى قبضة المخابرات الأمريكية منذ أن كانت تعمل لحسابها فى حرب أفغانستان ضد السوفيت .. وأكبر ضبطية للمتفجرات ضبطت فى سيناء منذ أيام وسيناء ممر اسرائيلى وملعب لنشاط الموساد وليست ملعبا لنشاط إيرانى .. وكل المخدرات المهربة تأتينا من سيناء عبر الغردقة الى الصعيد .. والذين يعجبون كيف يكون الموساد الإسرائيلى وراء تمويل الإرهاب الاسلامى .. أقول لهم وأذكرهم : كيف كان هنرى كورييل اليهودى وراء تمويل الشيوعية المصرية .. وكيف كان المال اليهودى وراء كل الفتن فى التاريخ ؟!

ولكننا ننسى كل هذا ونأخذ مايأتينا من وكالاتهم الاخبارية وكأنه نبأ منزل من السماء.

وقد جاء الوقت الذى نفيق فيه ونعلم أننا فى حرب حقيقية وأننا الفريسة التى يطلبها جميع الأكالة .. وان هناك حصارا لكل ماهو اسلامى ..واتهاما لكل ماهو اسلامى .. وفى هذه اللحظة التى تقرأون فيها هذه الكلمات .. هناك ألوف المسلمين المحاصرين يموتون تحت الجليد فى سراييفو وموستار وتوزلا .. ومحظور انقاذهم ، وجميع معابر وطرق الامداد بالمعونات مسدودة وعليها جنود صرب أو جنود كروات .. وأوربا ضالعة فى هذه الإبادة وأمريكا متحالفة بالسكوت .. مع أنها تصرخ كل يوم وتندب وتولول على ضحايا طائرة لوكاربى وعددهم مائتان وخمسون ، وقتلى البوسنة مائتان وخمسون ألفا ، والمطاريد الهائمون منهم ثلاثة ملايين آدمى .. ولو كانوا ثلاثة ملايين كلب لتكتل العالم لإنقاذهم ولخرجت مظاهرات جمعيات الرأفة بالحيوان ولمشت مسيرات جماعات الخضر

والحفاظ على الثروة الحيوانية ولطبعت ملايين المنشورات عن الـ biological diversity وخطر انقراض نوع الكلاب من الدنيا ومسئولية الجنس البشرى عن الأحباب الكلاب المهددة بالفناء .

ولكن مواطنو البوسنة يتجمدون ويموتون من الصقيع فى صمت عالمى مريب يشى بالتآمر والجريمة الشمولية التى اشترك فيها الجميع .

وسوف يعاقب الجميع ولن يذهب دم هؤلاء الضحايا هدرا .. فالذى خلق الكون وجعل كل ذرة فيه بميزان وكل مجرة بحساب ومقدار .. هذا الخالق ـ سبحانه ـ لايعبث ولايفرط ولاينسى ولايهمل .. والبراءة لن تهدر والاجرام لن يغفر .. والديان لا يموت ..

وهل رأيتم الكترونا يفلت من مداره دون أن يعطى شحنة تساوى حركته وهو الكترون تافه ؟ !

فكيف يتصور هؤلاء المجرمون الغلاظ انهم سوف يفلتون .. ونحن نعيش فى عالم يحكمه إله لايضل ولا ينسى ولايخطىء ولايظلم مثقال ذرة .

ومن أجل هذا فإن علينا كشهود عصر ألا نخدع أنفسنا وألا نداهن الظلمة وألا نسير فى ركاب الجبارين وألا نسكت على حق مهضوم .. فالاقوياء لن يظلوا أقوياء ، والضعفاء لن يظلواضعفاء .. والتاريخ يقول : إن هناك بحارا ومحيطات أصبحت صحارى ، وصحارى تحولت الى وديان خضر .. وأن هناك جبارين بادوا وامبراطوايات فنيت .. وان كل باطل يزول ولا يبقى إلا الحق .

ودبلوماسية اتقاء خطر الأشرار وتجنب مصادمة الأقوياء ربما كانت دبلوماسية سليمة ولكن ليس الى درجة ظلم النفس وخداع الذات ..وكماقلت نحن الفريسة التى يطلبها جميع الاكالة ..وعلى الأقل لايصح أن نؤكل ونحن فى غفلة .. لايصح أن نؤكل ونحن نشكر الأكالة ونبارك الأيدى التى تفترسنا .. وهناك حد أدنى من الوعى مطلوب لنرسم لأنفسنا استراتيجية سليمة .. وحد أدنى من الايمان لنحتفظ بثقتنا وشجاعتنا ومعنوياتنا عالية فى طوفان الأحداث.

وعمر الباطل ساعة والحق حاكم الى قيام الساعة.

وانظروا تحت أرجلكم.. تجدوا تراب خمسة عصور وبقايا خمس مدن وآثار خمس حضارات تحت تراب القاهرة.. حضارة فرعونية وحضارة اغريقية وحضارة فارسية وحضارة رومانية وحضارة إسلامية.. وربما تحت أقدامكم الآن بقايا درع مكسورة كان يلبسها فارس مغوار وبقايا مكحلة كانت تكتحل بها أميرة تمشى فى موكب فخم ، وأكاد أسمع أصوات المواكب ونفير الجيوش تحت التراب.. والعرس وضيوفه والقاتل والقتيل والظالم والمظلوم فى حفرة واحدة قد استووا ترابا.

لاشىء فى الدنيا يساوى أن نكذب أو نخون أو نظلم.

لاشىء يدعونا لأن نخاف.. والخائف سوف يتمدد الى جوار الذى يخاف منه بعد قليل ، والجبان لن ينجو من الموت والرعديد سوف يسبق الشجاع الى حتفه.. وسوف تتفكك هذه البنايات وتنهار تلك العمائر الجميلة كأنها ديكور من ورق اللعب ، وسوف تزول هذه الزخارف كأنها نقش على الماء.. ولن تبقى إلا شواهد قبور.. ثم تغور الشواهد فى التراب أو الرمال.. ثم لايبقى أسم ولا رسم.

والذى يعى هذا جيدا سوف يقبل على الدنيا بجسارة وسوف يخوض أحداثها بقلب من حديد ، وسوف يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، وسوف يبسط يده بالخير لايخاف فقرا ، وسوف يواجه البأس لاتزلزله الزلازل ولا تحركه النوازل.

وهؤلاء هم أهل الاحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ويتعاملون مع الموت كأنه رفيق حاضر وصاحب مصاحب منذ الميلاد.

فأجتهدوا أن تكونوا من هؤلاء لتدين لكم الدنيا وتسلم لكم الآخرة وقولوا الحق يرحمكم الله.

إخلاء طرف

قرأت لأكثر من كاتب فى أكثر من صحيفة فى الآونه الاخيرة كلاما كثيرا يستنكرون فيه اتهامنا للغرب ولأمريكا فيما تفعله إسرائيل ومايقترفه الصرب والكروات فى حق مسلمى البوسنة ، وما يجرى للعرب ولبترول العرب بعد حرب الخليج..

ويقول هؤلاء الكتاب : إن الغرب برىء وأمريكا بريئة وطاهرة اليدين من جرائم إسرائيل ومن وحشية الصرب ومن عدوان الكروات ومما جرى للعرب وبترولهم وثرواتهم فى حرب الخليج ، وأن الكلام عن تآمر الغرب هو نوع من تبرئة النفس وإخلاء الطرف ولا يوجد دليل واحد على هذا التآمر الغربى، وكل ما فى الأمر أننا مغفلون وجهلة وأعداء لأنفسنا وقد جلبنا على أنفسنا الدمار بهذا الجهل.. وفى النهاية نحاول أن نعلق هزيمتنا وفشلنا على شماعة التآمر الغربى.

وهو كلام جزاف وغير موضوعى.. فما حدث أن كتبت عن الدول الاسلامية وأزماتها الا وبدأت كلامى باتهام النفس وبالاعتراف بأن المسلمين متخلفون وجهله وكسالى وسلبيون وأعداء أنفسهم . ولكن الوقوف بالاتهام عند هذا الحد من إهانة النفس وتبرئة ذمة الآخرين مما يجرى على الساحة هو جريمة ، والأدلة التى يطلبها أصحابنا لإدانة الغرب واتهام أمريكا ظاهرة للعيان وهى موثقة تاريخيا ولا تحتاج الى مستندات..

ألم تعط انجلترا وعد بلفور لليهود ومكنت لهم من وضع أقدامهم فى فلسطين.

ألم تسمح أمريكا بالترسانة العسكرية النووية والكيميائية والميكروبية لإسرائيل وحظرتها على العرب وطاردت الحكومات بالتفتيش فى كل شبر عن أى شبهة فى سلاح نووى أو كيميائى أو جرثومى؟! ألم تساندها بكل شىء من الرغيف الى الصاروخ الى التكنولوجيا المحظورة الى السوبر كومبيوتر الى الفيتو المستمر الذى يحيمها من أى عقاب.

وحتى سنة ١٩٩٠ من كان يمد صدام حسين بالسلاح حتى طفحت مخازنه بالأسلحة من كل لون؟ ، ومن أعطاه الإذن ليبدأ بالعدوان على ايران ثم يمده بالسلاح ويستمر فى إمداده ثمانى سنوات فى حرب استنزاف اسلامية ـ اسلامية متصلة.. من ياسادة.. الغرب.. أم الشرق؟!

ولقاء السفيرة الامريكية ابريل جلاسبى بصدام.. ومسودة الحديث الذى دار بين الاثنين والذى أعطى الضوء الأخضر لصدام وشجعه على أن يمد عدوانه الى الكويت.. وهى المسودة التى أشار اليها روس بيرو وطالب

الرئيس بوش بإطلاع الشعب الأمريكى عليها.. هذه المسودة التى إختفت.. واختفت معها ابريل جلاسبى من السلك الوظيفى كله.

وفى البوسنة والهرسك من الذى أصدر الأوامر بحظر السلاح على مسلمي البوسنة ؟!.. أليست هى الأمم المتحدة وقالت ساعتها إن الحظر عام على الصرب والمسلمين . قالت هذا وهى تعلم أن تحت يد الجيش الصربى كل ترسانة الجيش اليوجوسلافى الذى جهزه تيتو بالإضافة الى مصانع الصلب والدبابات والسلاح.. ثم لاشىء تماما على الجانب المسلم سوى بنادق قديمة..

وكيف يمكن تسمية مايفعله الصرب هناك حربا عرقية .. وهم يحرصون على تدمير كل مسجد ونسف كل مئذنة وتدمير أى مكتبة أو أثر اسلامى .. وكيف تكون تلك الحرب عرقية وهم جميعا سلاف بعضهم أسلم فى الماضى وبعضهم مازال على مسيحيته ؟ .

وبعد انهيارسعر البترول فى الأسواق هل يستطيع العرب حجب البترول بعض الشىء لرفع سعره بعد أن أصبحت مياه الخليج قاعدة للبوارج الأمريكية واصبحت الآبار كلها تحت حراسة الحلفاء الأمريكان وأصبحت ارادة الأوبك فى تسعير النفط مرهونة بمصالح الحليف.. وأصبح وجود الأوبك نفسها وجودا شبحيا أقرب الى الظل منه الى الحقيقة .

واذا تركنا الحاضر وعدنا الى الماضى السعيد دعونا نسأل : هل جاء نابليون الى بلادنا بدعوة وتذكرة ضيافة .. أم جاء بالأساطيل والبوارج ودخل علينا غزوا ؟!

وهل احتلت انجلترا القنال بالمراسلة أم بالمدافع ؟

ومن اختطف خمسة عشر مليون افريقى ليبيعهم فى أسواق النخاسة وليأخذهم عنوة فى السلاسل لبناء الامبراطورية البريطانية ؟!

ومن أباد الهنود الحمر وأخذ أرضهم وبلادهم وأسماها الولايات المتحدة.

ومن قام بالعدوان الثلاثى الغادر على مصر فى ١٩٥٦ الشياطين والاشباح .. أم الغرب المتآمر ممثلا فى فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ..؟

وهل مايجرى فى الحاضر الا ابن شرعى لما حدث فى الماضى .. وبعد كل هذا نسمع من يبرىء الغرب ويغسل أيدى الأمريكان مما يجرى .. ويجعل منا نحن المتهمين الوحيدين والمجرمين الوحيدين والجناة الوحيدين والأعداء الوحيدين لأنفسنا .

ونسمع من يقول : ان الحديث عن التآمر هو حديث خرافة .. ومثله مثل من يرى الشمس وينكرها ..

●●●

ولا نعفى أنفسنا .. أى والله .. رغم كل شىء ، بل نقول أخطأنا وتكاسلنا وتخلفنا وأذنبنا .. ويقف لنا نوع آخر من الخصوم الجدليين هم العلمانيون ويقولون : بل كان ذنبكم هو الاسلام نفسه .. فهو الذى ربى فيكم التواكل والتسليم والاحساس بالقدرية وعدم الجدوى من أى عمل . فكل شىء مكتوب ، وكل شىء مقسوم .. وتقديسكم لحروف القرآن جعلكم تتحجرون على مدلولاتها فلا تفكرون ولا تجتهدون ، وأصبح كل همكم هو الحفظ والاستظهار والتلقى دون فكر أو ابداع ، وآثرتم الفقر والكسل .. وتفرقتم شيعا كل فرقة تحمى نفسها بالتشدد والتطرف واختلفتم وتصادمتم وتمزقتم إربا وذهبت ريحكم ولم يعد لكم شأن يذكر .. اتركوا الاسلام واقطعوا علاقتكم به كما قطعت أوروبا علاقتها بالكنيسة فى عصر النهضة وانطلقت تسعى بالعلم وحده فغزت العالم وسيطرت على مقدرات الأرض .. اتركوا الاسلام واغلقوا عليه أبواب المساجد وتعالوا معنا ننطلق بالعلم وحده .. وسنفتح الدنيا ونغزو العالم .

وكذبوا جميعا .. فما أمرنا الاسلام بالتواكل ، بل بالتوكل ، والتوكل يقتضى من المسلم أن يبذل وسعه وأن يستفرغ همته وأن يفعل أقصى مايستطيع ثم يتوكل ويترك أمر التوفيق لله .

وما أمرنا الاسلام بالتسليم لأحد بل لله وحده ، وما جعل القدر حائلا دون العمل ، بل أمر بالعمل . وقال النبى – عليه الصلاة والسلام – للذى قعد عن التداوى وتصور أن مرضه قدر الهى .. قال له : تداوى فقد جعل الله لكل داء دواء .. وإنما تعالج قدر الله بقدر الله .. وكان نبينا أول العاملين ،

وقبل أن يموت كان قد دخل أكثر من ستين معركة مع المشركين ، ولو كان متواكلا لما ترك بيته ليواجه خطر الموت كل مرة .. وما أراد الله بنا أن نقف عند حروف القرآن ونكتفى بالحفظ والاستظهار والتلقى ، بل أمرنا بأن نعمل بها وأمرنا بالتفكير فيها والتدبر لمعانيها وقال فى كتابه الكريم :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤٤ ـ محمد)

وفى كل آيا ت القرآن أوامر بالسير والنظر والتأمل والتفكر وطلب العلم .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ـ يونس)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت » (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ الغاشية)

وفى تلك الآيات لفتات مختصرة لكل علوم الفلك والجغرافيا والأحياء .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » (٤٢ ـ الروم)

وفى تلك الآيات لفتات لكل علوم التاريخ والتطور ..

والمسلم الصحيح هو من يستزيد من العلم كل يوم ويقول : « رب زدنى علما » .

والزهد فى الدنيا هو أن تجعلها فى يدك لافى قلبك ، وبالتالى لاتتركها فى أيدى الآخرين ، والفقر والافتقار هو لما فى يد الله وليس لما فى يد الناس .

وفى مئات الآيات التى جاء فيها ذكر الإيمان جاء الإيمان مقرونا بالعمل: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ورغم أن الرسول الذى جاء بالاسلام أمى .. الا أن أولى آيات القرآن كانت أمرا بالقراءة : « اقرأ باسم ربك » .

والعمل كان أولى الشرائع التى نزلت بأوامر مكررة فى كل صفحة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وحذرنا الله من التفرق وقد جمع النبى قبائل العرب بعد فرقة وحقق الوحدة المستحيلة فى الجزيرة العربية .. والاسلام كان دائما رمز الوحدة والتوحيد .. والذين فهموا الاسلام بهذا المعنى كانوا أعلاما وقادوا الدنيا وعلموها وأناروها .

ولكن التخلف جاء حينما انحرفنا عن هذه المعانى وسرنا وراء الماركسى والعلمانى وأضعنا همتنا فى الكلام والجدل ، وبهرتنا فاترينات السلع الاستهلاكية والاختراعات التى تدفقت علينا من العالم الغربى فى هيلمان من الغزو الفكرى والثقافى والفنى أفقدنا التوازن وسلبنا هويتنا ولغتنا وعقلنا وميراثنا .

ومازال الغزو مستمرا .. وله الآن سماسرة .. ودول كبرى تساهم فيه .. وأجهزة اعلامية مفترسة تدخل كل بيت بالصوت والصورة والألوان والأغنية والرقصة .. ومدفعية من الصحف والكتب والاذاعات وأقمار تنزل علينا من الفضاء بما تريد من دعايات .

●●●

والحق منتصر بإذن الله ولو طال الأجل . فإن الله لم يخلق هذا الكون للعبث واللعب .

« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين » (٣٨ ـ الدخان)

ولكن الله يمهل اللاعبين ويمد فى الحبل للعابثين لكى نتحرك نحن ويكون لنا دور وليكون لنا مقال وليكون لنا فعل ولتكون لناوقفة إزاء تلك المهزلة التى تجرى ومشاركة فى نهايتها .

ومائدة الله ممدوده تنادى : هل من طامع فى ثوابى؟

والكل غارق فى عسل الدنيا ، واقع فى حبائلها ، ضائع فى شباكها .. وقد غفلوا جميعا عن الموت القريب .

ذلك الموت الذى تدق أجراسه مع كل نبضة قلب هاتفة : ضاع يوم وما ضاع لن يعود .

وغدا تذهب السَّكْرة وتأتى الفَكرة !

أهون على الله أن تهدم كعبته
من أن يقتل مؤمن واحد ظالما

الاسلام برىء من أى جماعة تستعمله للوثوب على السلطة أو اغتصاب الحكم .. والاسـلام ليس تمردا ولا فكـرا انقـلابيا .. وإنما الاسـلام دعـوة وتبليغ وبيـان بـا لمنهج الأمثل للحيـاة الطيبـة وتعريف بـالله ووحـدانيتـه وعبـادته ، وتعـريف بالآخـرة والحساب ، ثم بعـد ذلك .. ليس بعد البـلاغ شيء.. وكل انسان حر يختار ما يشاء بإرادته ..

وإذا كان المسلمـون حاربوا الـروم والفرس فى الماضى فلتحـرير إرادة الشعـوب من جبروت الطغاة .. ومحور الاسـلام كان دائما تحريـر الإرادة وتحرير الاختيار .

لا إله إلا الله .. لا حـاكم للوجود إلا الله .. تحرير من كل الأصنـام المادية والمعنوية .. وتحرير من الأوهام والمخاوف .. ومن كل ذى جبروت .

والاسلام السيـاسى هو صنـاعة رأى عـام بهذا المعنى وليس صنـاعة ثورة تضطهد الناس أو إرهابا يطاردهم .

ولايوجد حاكم فى الـدنيا لايهتم بالرأى العام فهو يستمـد قوته من قوة الـرأى العام الـذى يقف معـه .. ومن هنا تكـون قـوة الدعـوة .. وليس من عضـلاتها .. فسـوف يحسب لها الحاكم ألف حساب لأنها صـوت الـرأى العام ومشيئتـه .. والله لم يجعل محمدا عليه الصلاة والسـلام متسلطا على الناس ولا جبارا .. وإنما مجرد مبلغ .

« وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (١٨ ـ العنكبوت)

« إن عليك إلا البلاغ » (٤٨ ـ الشورى)

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (٢١ ـ الغاشية)

« نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار » ٤٥ ـ ق)

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » (٢٧٢ ـ البقرة)
« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٥٦ ـ القصص)
« ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم » (١٢٨ ـ آل عمران)

وهذا كلام الله لنبيه الكامل الذى وصفه بأنه على خلق عظيم .

فماذا يكون قوله للحثالة الإرهابية التى تخرج على الناس بالمدافع الرشاشة لتهديهم .

لقد كذبوا جميعا ولا علاقة لهم بإسلام ولا بدين أى دين , إنما هم عملاء فى أيد أجنبية تحركهم .. والصحافة التى تصفهم بالإسلاميين المتطرفين تشوه الاسلام وتنعته بما ليس فيه .. وهى علينا وليست معنا .

وإنما استمدت الدعوة الاسلامية قوتها من القيم والمثل والأخلاقيات التى تدعو إليها .

واستمد النبى عليه الصلاة والسلام قوته من خلقه وطهارته وأمانته وصدقه .

بل إن مفهوم المجتمع نفسه ومفهوم الوطن ، ومفهوم القومية فى القرآن ثانوى على مفهوم الفرد .

« أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به » (٩٢ ـ النحل)

إن الله جعل الأمة أداة لابتلاء الفرد وامتحانه .. لأن أخلاق الفرد لاتظهر إلا بما يفعله مع اخوانه وأهله ومجتمعه .. فالمجتمع ليس كائنا حقيقيا وإنما هو مجرد وجود اعتبارى ووعاء لظهور شر الفرد وخيره .

ولكن الفرد والذات الفردة هى الحقيقة الوجودية التى من أجلها خلقت الدنيا وأقام الله المجتمعات .

والفرد هو الذى يتوجه إليه الخطاب والامتحان والحساب والعقاب .

« ذرنى ومن خلقت وحيدا » (١١ ـ المدثر)
« ونرثه مايقول ويأتينا فردا » (٨٠ ـ مريم)
« وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (٩٥ ـ مريم)
« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع

بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٩٤ ـ الأنعام)

ومعنى ذلك أن المجتمع والـوطن والقوم ليست كيانـات وجوديـة بذاتها وإنما هي ضمن مايترك ، وضمن مـا يدع الفرد وراء ظهـره حينما يدخل إلى القبر وحينما يلقى الله تعالى .

والمقصود من المجتمع في الـدنيا كان إظهـار معادن النفوس وأخـلاقها وسجاياها .

ونقف طويلا أمـام مفهوم الأخلاق الاسلامية ،فقـد اختلط هذا المفهوم كثيرا حتى على دعاة لهم مكـانتهم .. فقد نسبـوا إلى الشيخ محمد عبـده أنه قـال عنهم حينما زار أوروبا وعـاشر الأجـانب ورأى نظامهم وأخـلاقهم : هؤلاء مسلمون بلا إسلام .. ونحن عندنا إسلام بلا مسلمين .

وهكذا نسب إلى الإنجليـز والفرنسيين أخلاقـا إسلامية لمجـرد نظامهم وانضبـاطهم ،وهذا فهم خـاطىء .. فالنظـام والأخلاق عنـد هؤلاء النـاس مفهوم نفعي تماما كالبقال الذكي والتـاجر الذكي الذي اكتشف بفطنته أن الأمانة تكسب لـه جميع الصفقات بينما السرقة والغش والنصب لا يضمن له إلا صفقة واحدة.. فاختار الأمانة لأنها أنفع.

وهم اختاروا الأخلاق لأن لها عائدا ماديـا.. فهى أخلاق برجماتية نفعية لا شيء فيهـا لـوجـه الله وليست هي الأخلاق الاسـلاميـة التى أرادهـا الله خالصة لوجهه.

ونحن لانقف أمـام الحديث النبوي الشريف الـذي رواه الرسـول عليه الصلاة والسـلام عن المرأة الخاطئة التى وقعت على كلـب عطشان يلهث فى الصحراء فسقته فغفـر الله لها وأدخلها الجنة ، ولانفكر لم كـان هذا الثواب العظيم من أجل سقيا كلب.. ولكـن السر ليس فى مجرد العمل الصالح ولكن لأن هـذا العمل الصـالح لم تبتغ بـه المرأة سمعـة ولا أجرا.. فـلا أحـد فى الصحراء الخاليـة كان يـرى ما فعلت ولم يكن للكلـب صـاحب ليكـافئها .. ولكن عملها كان خيرا خالصا .. ولم يكن له شاهد سوى الله.. نحن هنا أمام أخـلاق ربانيـة (كما يرزق الله المؤمن والكـافـر لايبتغى على عطائه أجـرا) ولهذا أثابها الله بعطاء بلا حدود.

يقول المحسنون فى القـرآن : (إنما نطعمكم لوجه الله لانريـد منكم جزاء ولا شكورا).

هنا الأخلاق الربانية الإسلامية التى يريدها الله خيرا خالصا.

« ألا لله الدين الخالص » (٣ـ الزمر)

ولايوجـد عند هؤلاء الأوربيين والإنجليـز والأمريكـان الذين أعجب بهم الشيخ محمـد عبده هـذا المفهوم المجـرد الخالص..فهم لا يقـدمون شيئـا لله،وإنما كل شىء بحساب وبدفـاتر فى صندوق النقد الـدولى وبعين ناظرة إلى ثروات البترول وإلى الفرص والأسواق هنا وهناك.

والأخـلاق النفعية.. والأخـلاق التى لاتظهر إلا مع الخوف.. والأخـلاق التى لاتكون إلانفاقا وتزلفا.. ليسـت جميعها أخلاقا إسلامية، وإنما هـى فى حقيقتها لؤم وانتهازية وفطانة ووصولية وألوان من الانتفاع الدنيوى.

ولايصح أن نصف بـالأخـلاق الإسـلاميـة من لا مشروع لهم إلا النفع واغتنام الفرص واهتبـال الدنيا.. فحسبهم ما أصابـوا من الدنيا وليس لهم عند الله شىء. ولابـد أن نعترف أن هناك قطاعا كبيرا من المسلمين بـالبطاقة ممن ليس عندهم حتى هـذه الأخلاق النفعية الدنيويـة ولا هذا الانضباط.. وأنهم أقرب فى تخلفهم إلى قطيع الحيوان.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاعـتـــــزال

الاسـلام دين عمل ودين حركة ودين ايجابية وكفاح.

ومطلـوب من المسلم أن يخوض أوحال الـدنيـا ليصلحها ، وأن يعـالج خـرابها ليعمره .ولكن السـؤال : ماذا يكـون الحال إذا طم الفساد وتفـاقم الشر وتعاظم الكفر واستأسـد الإجرام واستحال الإصلاح وغلب الخيرون على أمرهم؟

القرآن يجيب بأنـه ساعتها يكـون الاعتزال أمرا محمودا .يقـول القرآن مخاطبا أهل الكهف حين اعتزلوا مجتمعهم الوثنى:

«وإذ اعتزلتمـوهم وما يعبـدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته» (١٦ ـ الكهف)

ويقول إبـراهيم فى القرآن للكفار من اهلـه : « وأعتزلكم وما تـدعون من دون الله وأدعو ربى» (٤٨ ـ مريم)

فماذا كان قول ربه:

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق» (٤٩ـ مريم)

لقد أثابه الله على هذا الاعتزال بأن وهبه اسحق.

ويحكى القرآن عن اعتزال مريم عن النـاس :« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت مـن أهلها مكـانا شرقيا فـاتخذت من دونهم حجابـا فأرسلنـا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا».

فأى تكريم علوى قدسى نالته مريم على اعتزالها.

ويوصى محمد عليـه الصلاة والسلام المسلم فى آخر أيـام الدنيا حينما يفسد الكل.. أن يلزم بيته ويغلق عليه بابه.

إن المجتمع إذا فسد وانهار فإنـه لايساوى شيئاً فى مجموعـه أمام نجاة فرد واحد.. فالفرد هو مقصود الرسالة ومراد كل النبوات.

والفرد هـو الذى سـوف يبعث وسوف يحاسب والنفس هـى الحقيقة الخالدة ومصيرها الجحيم خلودا أو الجنة خلودا.

وإنما تمتحن النفوس بالمجتمع وتناقضـاته.

والاسرة والقبيلـة والجماعـة والطـائفـة والامـة والـدولـة وكل الأبنيـة الاجتماعية هى المسرح الذى تعبر فيه النفـس عن خيرها وشرها وتجلى فيه مواهبها وتبوح بمكنوناتها مـن خلال الصراع والصدام والالتحام بالنفوس الأخرى.. والمقصود النهائى هى كل نفس على حدة.. يقول الله فى قرآنه:

« ذرنى ومن خلقت وحيدا» (١١ ـ المدثر).

لن نـدخل على الله فى جماعة ، ولن نلقـاه فى شلـة.. وإنما كلهم آتيه يـوم القيامة فردا.

ولن يستطيع أحد أن يلقى ذنبـه على الآخر أو على الأسرة أو على المجتمع أو على البيئة، فكل هـذا لم يكن سوى ورقـة الامتحان التى أريـد بها إخراج مايكتمه فى نفسه.. وهى أبنية أصبحت الآن هواء لا وجود لها.

ذكرت هـذا وجالت بنفسى كل تلك الأفكار حينما كنت أحـادث المخرج الـرائد كمال الشيخ فى التليفـون وأسألـه: أيـن أنت الآن فى السينما إنى لاأراك؟ فقال الرجل بنبرته الهادئة وصوته المهذب:

— لم اعـد أرى نفسـى فى السينما الآن،فآثـرت الابتعاد والاعتـزال.. لم تعد السينما عملا محترما ولم تعد الأفـلام تحض على الفضيلة أو تدعو الى خير أو تقدم عبرة ، حتى أفلام التسلية لم تعد تقدم تسلية بريئة.. أصبحت السينما كـاراتيه وعنفـا ورصاصـا ودمـا وجنسا وإثـارة، لمجرد الإثـارة، وضحكا مبتـذلا ونكات مكشـوفة وتهريجا سفيـه.. حتى أفـلام المخدرات أصبحت تدعـو إلى المخدرات، لأن مشاهد التلذذ والنشـوة والغنى الفاحش تشيع بطـول الفيلم.. ولانـرى المصيرا المؤلم إلا فى لحظة عـابـرة فى النهايـة فيخرج المتفرج وهـو مشحون بلذة الكيف وقد نسى البـاقى.. لقد تحولت السينما إلى أداة إفساد صريحة.. ليس فى مصر وحدهـا ولكن فى العالم كله.. وأعلى الأجـور الأن تعطى لرمـوز العنف والتدمير أمثـال شوارزنجـر وإلى رموز الفحـش والعهر مثل مـادونا.. ولم يعـد المخرج فى بلدنـا يستطيع أن يسيطر على موضوعه أويختار مـادته فى جو فنى رخيص والوان من الإنتاج تبحث عن تغطية سريعة وكسب سريع أى كسب.

هناك استحالة أن يحترم الواحد منا نفسه ويستمر فى هذه الأعمال.

واحترمت الرجل واحترمت اعتزاله.

ولاأظن الـذين اعتـزلـوا السينما مـن ممثـلات الصف الأول.. كـانت عندهن أسبـاب أخرى.. إنما هـى نفس الأسباب التى ذكـرها كمال الشيخ.. الإنحدار العـام فى مستوى المهنة.. ونفس الشـىءفى المتفرج.. لم يعـد هناك أب محترم يفكر فى أن يأخذ أولاده ويذهب إلى السينما.

ونفس الشـىء فى مسارح الهزليات والتهريج والسهر للفجر.

هناك انحـدار حقيقى وإسفاف وهبـوط فى الجو الفنى العام خـاصـة فى مهنة السينما.

وإذا كان هنـاك فيلم من كل مائة فيلم لـه قيمة ، فإن هذا الفيلم الـواحد لايمحـو قـذارات الأفـلام الأخـرى، ولا ينقـذ المهنـة من قـاع المزبلـة التى استقرت فيها.

والاعتزال هنا عمل ايجابى وليس عمـلا سلبيا لأنه انقاذ ايجابى للنفس من ضياع مؤكد .

إن القرآن حينما ذم اعتـزال بعض الرهبان قـال: «ورهبانية ابتدعـوها ماكتبناها عليهـم إلا ابتغاء رضـوان الله فما رعوها حق رعايتها فـآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

فهو سبحانــه وتعالى لم يذم الرهبــانية على إطلاقها وإنما ذم الــرهبان الفاسقين الذين لم يرعوا رهبانيتهم حق رعايتها.

وقال عن الرهبانية : « ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله» .

ومعنى هذا الكـلام أن الاعتزال والرهبــانية إن كانت ابتغــاء رضوان الله فأمرها مختلف وهي مقبولة ولها أجرها المؤكد رغم أن الله لم يأمر بها.

ولم يأمر الله بالرهبانيــة لأنها الاستثناء حين العجز وحين غلبة الفساد وإنما القاعدة هي الكفاح والمجالدة.

وأعتقد بعد أن ارتفعت الأطباق الضـخمة فوق أسطح العمارات وانطلقت الاقمار الصناعية تبث أفلام العهر والانحلال.. أن الفساد يوشك أن ينقض بــلا موانع على النــاس.. وان هناك إغـراقــا مقبلا وغسيل مخ قــادما وأننــا داخلون إلى عصر رهيب.. وأننا نقترب من هذه الأيام التي قال عنها الرسول والتي يكون القــابض فيها على دينه كــالقابض على الجمر ويكون أجـر هذا المؤمن كأجر خمسين من صحابة محمد عليه الصلاة والسلام.

ونسأل الله اللطف.

القتــــل ثم القتــــل

الميليشيات التي تتقاتل بالصواريخ في كــابول وتدعى انها تفعل هذا من أجل الإسـلام اقول لها: انه أهــون عند الله أن تهدم كعبته من أن تزهق روح برىء أو يقتل مؤمن واحد ظلما.. وذلك لأن الكعبــة هي البيت الرمز للرب ، أمــا قلب المؤمن فهو البيت الحق.. ومــايهدم من الكعبة يمكن أن يبنى ، أمــا من يقتل فمن يستطيع أحياءه.

يقول ربنا في الحديث القدسي:

«لم تسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن».

فقلب المؤمن أوسع من السماوات والأرض، بل هــو المطلق اللامحدود في سعته.. لأنه السر المفتوح على الملكوت ومــا وراء الطبيعة ومعدنه من معدن النفس والروح، وهو من اللطائف التي أودعها الله فينا ولا ندري عنها شيئا.

وحينما تمتـد يد لتمـزق هـذا المحـراب وتهدم البنية التـى أقامهـا الله، وحينما تسقط الصـواريخ وتنفجـر القنـابل فتقتل من لا نعـرفهم ومن لايعرفـوننا بـلا ذنب وبلا جريـرة.. وحينما تتمزق أجسـاد الأطفال.. فإن السموات ترتعد من هول الاثم.

ثم نسمع من يقـول انهم متطـرفـون إسـلاميـون وهـم لايمتـون إلى الإسلام بسبب.

ونعجب كيف صدقـوا أنفسـهم وتصوروا أنهم يعملـون لهدف إسلامى وهم يقبضـون مرتباتهم من المخابرات فى هذه الدولة أو تلك.. وكل جماعات بيشاور كـانت تعمل بقيادة المخابـرات الأمريكية ، وتقـول الـ C. N. N أن حمكتيار تقاضى ألف مليون دولار من المخابـرات الامريكية أثناء حربه مع السوفيت ، وكان سـلاح تلك الجماعات وتمويلها أثناء قتـالها للسوفيت من المخابـرات الأمريكية.. ومـازالت العلاقـة مستمرة.. والجديد كـان دخول دول عربية لتساند هذا وذاك لأهداف ومصالح يعلمها العليم.

وأشعر بالأسى ..

مادخل الإسـلام بكل هذا؟ وكيف نسمح للغـرب المتربص بأن يجر قدم الإسلام إلى هذه المباءةليجعل منهـا ذريعة ليطارد الإسلام والمسلمين فى كل مكان؟

وكيف نـرضى أن نطعن أنفسنا بـأنفسنا من أجل حفنـة دولارات ومن أجل البقـاء فى الكراسى أى كـراسى.. بينما الأرض كلها تسحب من تحتنـا جميعا.. ونسعى إلى حتوفنا دون أن ندرى والموت يشاركنا اللقمة كل يوم.

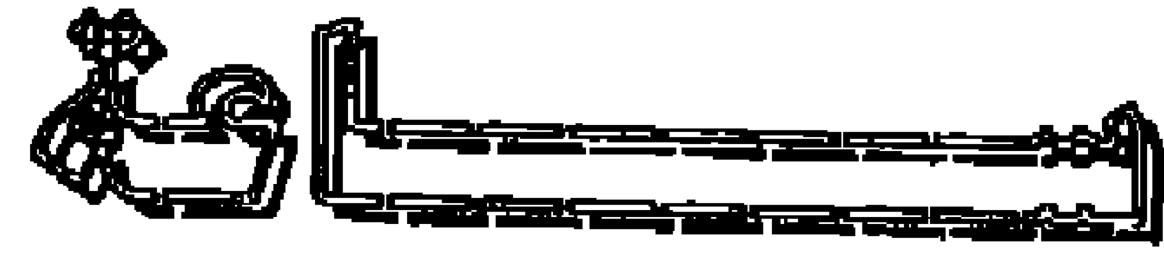
فهل أدرك الـذين يصنعون هـذا البلاء انهم يصنعـون مصيرهم ضمن مايصنعون.

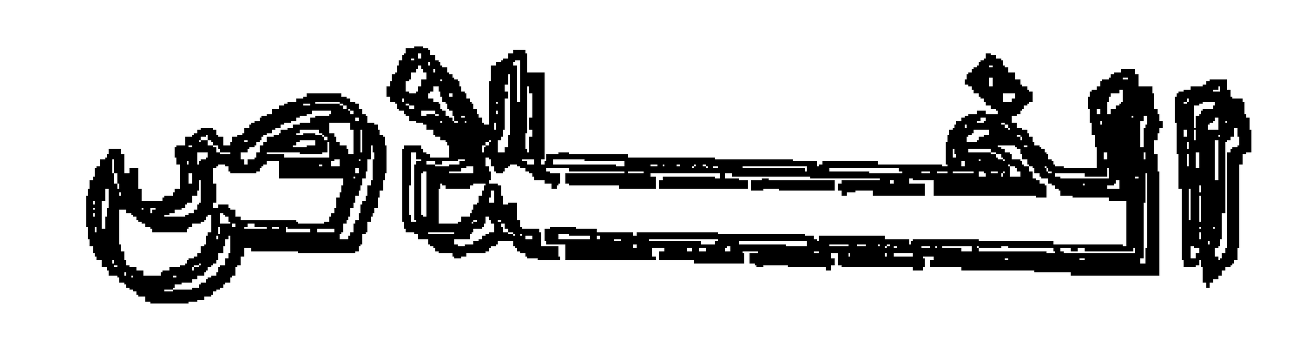
هل أدركـوا انهم يلهثـون جـريا إلى الجحيم. وكلما أطلقـوا صـاروخـا ازدادت شـهيتهم إلى هـذا اللقاء واشتعل شـوقهم فأطلقوا صـاروخا آخـر.. وماشتاقت نفوسهم للجحيم إلا لأنها بضعة منه .

وكل شـىء يحن لأصله والعياذ بالله .

ولهذا يتحدث عنهم ربهم بأنهم أصحاب الجحيم وأهلها الذين هم أهلها. هؤلاء الناس الذين تسليتهم القتل وبضاعتهم القتل وتجارتهم القتل.




سورة


الإخلاص

كانت المتكلمة من البوسنة .. امرأة صوتها يتهدج من بين الدموع :

زوجي وأولادى قتلوا .. واخوتى تشردوا .. وجيرانى أودعوا المعتقلات .. وبيوتنا أصبحت كومة تراب .. فى الحر القاتل لا نجد الماء وفى البرد الصقيع لا نجد المأوى .. نغتصب وتهتك أعراضنا ونقتل جوعا وتمزق الشظايا أجسادنا .. تسعة عشر شهرا من الجحيم والرعب المستمر .. والسلاح ممنوع عنا حتى لا ندافع عن أنفسنا بينما هو مبذول بكثرة لأعدائناليفعلوا بنا ما يشاءون .. لا أحد يسأل عنا .. خذلنا الجميع ولم يبق لنا إلا الله ..

نبكى ونصلى والقنابل تدمدم فوق رؤوسنا ونسجد على الأرض ونحن بين مقطوع الذراع والساق ومهيض القلب والفؤاد والدماء تقطر من جراحنا .

لماذا لا يأخذ الله على أيديهم .. لماذا لا يهلكهم . أليس هو مجيب دعوة المضطر إذا دعاه ؟ ومن يصحو وينام فى الاضطرار المستمر مثلنا !! متى تأتى ساعة خلاصنا .

وكانت تبكى بين الكلمات وكنت أتقطع حزنا وأسى وأنا أسمعها وكنت أقول لها : إن الله منتقم لكم لا محالة ، وأن عدالته قادمة ولكن فى ميقاتها الذى يحدده هو .. ولله سنن ثابتة فلو أنه عجل العقاب للمخطىء وأخذ على يد الظالم من فوره لما كانت هناك حكمة لآخرة ولا مناسبة لحساب ، ولو أنه منعه من ظلمه لما كانت هناك حرية لأحد .. وهو أمر ينافى سنة الله فى الخلق . فقد أرادنا الله أحرارنا .. ومعنى أن نكون أحرارا هو أن يكون لنا هامش تصرف نخطىء فيه ونصيب .. وهكذا اقتضت الحرية التى أرادها لنا الله .. أن يسمح لنا بأن نضر وننفع .

وهكذا سبقت كلمته بتأخير العقاب إلى أجل مسمى وهذا بعض ما علمنا القرآن .

« ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » (٤٥ ـ فصلت)

« ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم » (١٤ ـ الشورى) .

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا » (٤٥ـ فاطر) .

وشكرتنى ووضعت السماعة بيد ترتجف وانقطع بيننا الحديث ولكن الكلام ظلت له توابع تتسلسل فى فكرى .. فالابتلاء هذه المرة ليس للصرب وحدهم .. ولكنه ابتلاء للعالم كله ولأهل الحضارة الغربية الذين يتشدقون بحقوق الإنسان ولسكان الجانب المسلم من الكرة الأرضية الذين يقولون أنهم حملة كتاب الله وأنهم الوارثون للعلم ..

بل إن الدائرة لا تدور على مسلمى البوسنة وحدهم بل هى تدور على مسلمى العالم فى أوروبا وآسيا وافريقيا فهم يقتلون فى الهند على يد الهندوس وفى كشمير وبورما على يد السيخ والبوذيين وفى سيرلانكا والفلبين وليبيرا .. وفى القدس والأرض المحتلة وغزة ولبنان توشك أن تبدأ المذبحة الكبرى للمسلمين على يد إسرائيل .

هذه المرة المذبحة شاملة والبلاء عام وتوشك إرادة العالم أن تجتمع على استئصال شأفة الإسلام من الأرض .

والله يكف يده عن هذا الظلم الفاجر لحكمه حتى يفضح النيات الخافية والمبيتة فى قلوب هؤلاء الناس المتحضرين والمتمدنين الذين كنا نأخذ عنهم علمهم وأخلاقياتهم وثقافتهم فى انبهار وننظر إليهم كأخوة كبار وكملهمين وأساتذة .. يريد الله أن يرينا هذه العلمانية التى فتن بها أولادنا وشبابنا والتى كتب عنها سلامة موسى فى افتتان وإعجاب وروجها بين أبناء جيلنا .. وجعل منها مثلا عليا آمن بها .. وضل وأضل غيره فى عبادتها .

هؤلاء الكبار حملة المثل العليا أراد الله أن نراهم فى ضوء الابتلاء الساطع كفرة فجرة طغاة لا إنسانيين .. وسفاحين قتلة .

وبمثل ما امتحنهم الله فإنه قد امتحننا نحن أيضا شعوبا وحكومات .

والامتحان مستمر والعلمانيون منا مازالوا يكتبون غثاء ويروجون غثاء ويتعبدون لقبلة انهارت قواعدها .

والذين اتخمهم الثراء تصوروا أن ثراءهم سيكون مانعهم يوم ينزل البلاء .

والذين زرعوا قصورهم فى أمريكا وفرنسا وسويسرا وأودعوا أموالهم عبرالبحر تصوروا أنها ستكون ملجأهم يوم تقع الواقعة .. وأنهم فى مأمن مما سيأتى به الغد .

ولكن كارثة هذه المرة شاملة وهى طامة كبرى على الإسلام فى كل مكان .

والله يمهل هؤلاء المخططين الأذكياء ويمد لهم فى الحبل ليفضح نواياهم ويكشف فصائلهم وأجناسهم وانتماءاتهم وقبائلهم .. كما يكشفنا لأنفسنا ويمتحن إيماننا وليكتب جنده وملائكته خفايا كل إنسان وحقائقه .. إنه الفرز المستمر . وطاحونة البلاء هى المفرزة الكبرى .

وحينما ينتهى الفرز ويتأكد التصنيف ويدون جنود الله الكاتبون توجهات كل فرد مشفوعة بأعماله وأقواله حينئذ يأتى أمر الله بنصرة الذين انتصروا له وخذلان الذين خذلوا كلمته . وكمثل ماجاء أمر الله على قوم لوط بالإهلاك والفناء رجما ، فتوسط النبى الأواه الحليم إبراهيم من أجلهم لعلهم يتوبون .. فقال له كبير الملائكة : « ياإبراهيم أعرض عن هذا .. إنه قد جاء أمر ربك وإنه آتيهم عذاب غير مردود » . نعم .. إنه حينذاك سيكون الأمر غير مردود والعذاب غير مردود .. والشفاعة لاسميع لها ولا مجيب ولو كانت من نبى .

ولهذا أقول لكل من يسمع ويرى ويتألم ، وأقول لكل من يعانى : لا تتعجلوا انتقام الله .. ولكن تعجلوا مواقفكم وتحسبوا أماكنكم .. ولتكن مواقفكم حيث أمر الله .

اجتمعوا على أمره وتفرقوا على أمره وكونوا ناصحين لحكامكم مرشدين لكباركم .

وحاولوا أن تجعلوا من أنفسكم صفا واحدا وليكن شعارنا لليوم

وللمستقبل هو : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. فالكل متربص بالكل .
ونحن لا نعيش فى ظل نظام عالمى جـديد وإنما فى فوضى عالميـة كاملة وفى غياب كـامل لكل المعايير ، ومجلس الأمن والأمم المتحـدة هياكل فـارغة تحكمها مصالح الأقوياء وتقودها القرصنة الأمريكية والنخبة الصهيونية .
ورغم هذا الحاضر المظلم فإنى شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموى الرهيب .
وعمـدة الأحكام عنـدنا هى كتـابنـا والله يقول فيـه : « هو الـذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣٣ ـ التوبة) .
وجاءت الآيـة مرة أخرى بنفس الصيغـة فى سورة الصف وهى تـاسعة آيـات السـورة .. هـو إذن وعد صــدق .. وهـو لم يتحقق إلى الآن ، فظهـور الإسـلام كان فى قـريش ولم يكن على الدين كلـه بل كان على أديـان الشرك المحليـة الموجـودة وعلى يهود الجزيرة ، ثم فى أيـام أبى بكـر وعمـر تخطى الجزيـرة ليـزيح وثنيـة فـارس ونصرانيـة الـروم ثم تـوقف عنـد بـوابـة القسطنطينية غربـا وبوابة الأندلس شرقا ولم يـدخل أوروبا . وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم افريقيا وكل استراليا وباق بالعالم خارج الإسلام ونفوذه .
وبين خمسة آلاف مليون من سكان العـالم هناك اليوم ألف مليون فقط من المسلمين والأربعة آلاف من الملايين البـاقية من الأديان الأخـرى .. فهو لم يظهر على الـدين كله كما فى منطوق الآيـة .. بل إن الأكثريـة الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر عليه لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية .
وإذا كان مـا نراه الآن من مذابح للمسلمين فى كل مكان بـداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإنى أعتقد أنه هنا يأتى ميقات الآية الكريمة .. فإذا انتهت هـذه القوى المتـآمـرة فى معركتهـا الفـاصلة مع الإســلام إلى الهزيمة فإنه حينئذ سوف يظهر الإسلام على الدين كله .. لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل .
فهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذى نحن فيه ولا تتحدث عما مضى وهى لابد تتضمن فى باطنها مـواجهة شاملة ونصرا مطلقا .. وإلا فكيف

يظهر الإسلام على الـدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهـد من العالم كله .. إلا أن تكـون هناك معركـة خاتمة ونصر مؤكـد يقلب الموازين ويظهر الحق .

إنه وعد إلهى إذن بنصر شـامل مؤزر . ويلتقى هذا الوعد بالـوعد الآخر الـذى جـاء فى سـورة الإسراء والـذى قضى الله فيــه لبنى إسرائيل بأنها سيكون لها علـو كبير وانها ستفسد فى الأرض مـرتين وانه ستكـون هناك معركتان ، ثم يصف المعركة الثانيـة بأنها « وعد » .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجـوهكم وليدخلـوا المسجد كما دخلـوه أول مرة وليتبروا مـاعلوا تتبيرا»(أى يدخلوا القدس ويدمروا كل ما عَلاَ اليهود وكل مابنوا وأنشأوا).

ولاشك أن إسرائيل فى قلب ما يجرى وفى قلب ما يحاك من إفســاد وتآمر على الإسلام والمسلمين فى هذه الأيـام ، وهى رأس الحربة فيما يخطط لنا فى كل مكان . فالوعد فى الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله .. والوعد فى الآية الثـانية بانتصــار المسلمين ودخولهم القدس وتـدميرهم لكل ما أنشأ اليهود وكل ما بنوا .. هو نفس الشـىء .. والآيتـان تتحدثان عن حدث واحد يأتى فى زماننا وبه يظهر شأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته .

وهذه قـراءة تاريخيـة فى كتابنـا أرجو أن تكـون صحيحة فإننـا نؤمن جميعا بأن وعد الله لا يتخلف لأنه سبحانه بيده مقاليد كل شىء وما يعد به ربنا لابد آت لا محالة .

وأقول لأبنـاء البوسنــة الشجعان البـواسل اصبروا وصابـروا ورابطوا والحق منتصر بأهله وأبنائه وشهدائه بإذن الله ووعد الله لا يتخلف .

إنما هى البداية .. ولكل بداية نهاية .

●●●

ولن يكـون ظهور الإســلام هذه المرة بعمل عسكـرى من أعمال العنف ولا بـانتصــار وضيع ودنىء من مثل مـا يفعله الصرب من فحش ونـذالـة بنســاء البوسنــة المسلمات وأطفالهن العــزل .. وإنما بنصرة إليهــة باهــرة تنعقد لها الألسن وتخشـع لها القلوب وينتهى بها الجدل ، وهذا يفسر الأثر الكلى الشــامل المذكـور فى الآيــة (ليظهـره على الـدين كلـه) هــذه الكليـة والشموليـة لا تتأتى بالعنف ولا بـالقهر ولكن بشىء يقطـع الحجة وينهى

الشك ويحسم القضية ويجلى القضية .. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة ؟!

ولا نمضى فى التحديد ولا ننزلق إلى التأويل .. فهذه آيات تفسيرها حدوثها .

وعن الميقات المعلوم .. فإنى لا أظنه بعيدا ، فالحوادث التى تتدفق وتتسارع بمعدلات فلكية لا تعطى فسحة لأى تراخ .. وبعد أن انكشف الدور العدوانى للصليبية اليهودة العالمية فى إشعال الفتن وتأجيج الحروب فى كل وطن إسلامى وفى محاصرة الإسلام فى جميع مظانه ، فإنه لم يعد هناك ما يدعو لانتظار .. خاصة أن المناخ السياسى ملائم وولاية كلينتون والنخبة الصهيونية حوله قد لاتتكرر .. إنها فرصة العمر إذن .. والسنوات الخمس القادمة يجب أن ينجز فيها كل شىء ، وسنة الفين ميعاد رمزى له فى التوراة رنين خاص .

ومن يعش منا هذه السنوات الخمس القادمة سوف يرى مالايخطر له على بال .. ولأن مصر لها مكان محورى فى هذه التحولات .. فسوف تحظى بحفاوة لا مثيل لها من جميع جبهات التآمر .. وجميع مدفعيات الفتن موجهة إليها من الآن .

وقد رأينا كيف حاولوا ضرب السياحة والاستثمار بقنابل الرعب والمسامير ، وبموجة عارمة من الاعلام الكاذب الموجه بدأت بتلطيخ الإسلام واتهام رموزه ، وانتهت بالتحذير من السفر إلى مصر أو الاقتراب منها ، ثم صور عن الفقر والقذارة وأكوام الزبالة وأخبار عن أمراض الاسهال « وهم سبب تلك الموجات الوبائية من الاسهال بما يدخلونه من مبيدات ممنوعة ومواد رش قاتلة وحيوانات مريضة » ثم الغزو الثقافى العلمانى وإحياء مدارس الشك والتغريب .

والقنبلة القادمة حى محاولة تحطيم الذرة المصرية العجيبة فى تماسكها والتى تتآلف نواتها من بروتون إسلامى ، ونيوترون مسيحى ، والتى استعصت على التحطيم منذ محاولات الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الانجليزى .. ومازالت صامدة رغم الفتن التى تعاقبت عليها أشكالا وألوانا وآخرها محاولات جس النبض التى حدثت فى صعيد مصر وانتهت بالفشل .

وينسى الأعداء بجميع نوعياتهم .. إن المسيحية فى مصر هى مسيحية خاصة مختلفة عن مسيحية الغرب .. وإن الكنيسة المصرية لم تتحالف مع الكنيسة الأوروبية فى الهجمة الصليبية الماضية بل وقفت مع الجيش المصرى وحاربت الصليبيين وكسرتهم .

والوشائج التى تجمع النصرانى والمسلم فى مصر كثيرة وعميقة . ونحن نتعايش ونتزواج ونتحارب معا منذ أكثر من ألف عام ، ويعلم النصرانى أن الإسلام يحترم العذراء الطاهرة مريم ، ويقول القرآن أن الله طهرها واصطفاها على نساء العالمين ، وانه وضع ابنها المسيح مع الأنبياء الأكابر من أولى العزم ، وقال فيه انه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .. كما يعلم النصرانى المصرى أن اليهود سبوا عيسى وقالوا انه دجال وابن زنا وان أمه عاهرة وهم يكرهون اليهود كراهية التحريم .. ولن تدخل الصليبية اليهودية مصر أبدا .. وإذا دخلت فستدفن فيها .

ومصر ليست لبنان ولن تكون .

ومع ذلك فإنه حتى فى لبنان وبعد ست عشرة سنة من الحرب الأهلية الىت ساندتها فرنسا وأمريكا وأوروبا والفاتيكان فشلت الصليبية اليهودية فى أن تصل إلى أهدافها فى تقسيم لبنان وتغيير التركيبة السياسية فيها ، وعادت لبنان الجريحة كما كانت وبنفس النسبة القديمة فى جهاز الحكم من المسيحيين والمسلمين ، ورأينا نحن هنا من فظائع هذه الحرب الأهلية وعدم جدواها ما يجعلنا نحذر ألف ألف مرة المسلم والمسيحى معا هذه الفتنة وأن نحاربها صفا واحدا بكل ما نملك من إرادة وتصميم ، وهم فى هذه الأيام يجمعون التبرعات فى أمريكا باسم الكنيسة المصرية المضطهدة ويسربون المنشورات عن دولة قبطية مستقلة فى الجنوب عاصمتها أسيوط والجولة القادمة هى تكريس هذه الفتنة .. بضع قنابل ورصاصات طائشة مأجورة يسقط فيها قتلى من المسيحيين .. على أمل أن ترتفع شكوى من نصارى مصر إلى الأمم المتحدة من ظلم المسلمين وعدوانهم .. تعقبها قرارات بحظر الطيران على خط عرض أسيوط .. ويبدأ التفتيت .

ولن تحقق تلك الأحلام .. لأنها أحلام دنيئة يروجها لؤم صهيونى أشد منهـا دناءة .. ولـن يحدث ذلك التحالف أبـدا بين قبط مصر ، وبين اليهـود الصهـاينة الـذين يعلم القبط من إنجيلهم أنهم أشد عـداوة لهم ولمسيحهم من الشيطان نفسه .

ولكن سوف تحدث المحاولة ولا أستبعدها .

وعلى كل مسئول أن يفتح عينيه جيدا ويـرسل جواسيسه ويسبق رياح الفتن قبل أن تهب .

ولقد ضحك الصهاينة على المسيحيين فى أمريكا وأقنعوهم بنبوءة كاذبة بأن المسيح لن ينزل من السماء إلا بعد ذبح المسلمين فى معركة هرمجدون، وكـونوا فـرقة إنجليـة أمريكيـة تروج لهذا الإفك وتجمع التبرعـات لمعركـة هـرمجدون القادمـة « يقولـون إنها سوف تحدث فى فلسطين فى السنـوات القليلة القادمة » وقـد وقفت الكنيسة المصرية ضد هذه الفـرية وحذر الأنبا شنودة من اتبـاعها .. وقـد عرفنا المسيح نبيـا داعيا إلى المحبـة ولم نعهده سفاحا داعيا إلى مجزرة .

ولكن اللؤم الصهيونى لا تنتهى حيله .

وهم فى انتظار المسيخ الـدجال الـذى سوف ينـزل على جبل صهيون ، ويأتى بالـخوارق ويصنع الأعاجيب .

والمسيخ الـدجال شخصيـة موجـودة فى كتبنا وهى واردة فى أحـاديث الرسـول عليه الصلاة والسلام ، وهـو ساحر يستعين بـالجن والشياطين وعلـوم الكـابـالا « العلـوم السريـة السفليـة لليهـود » ويأتى بـالخوارق والعجائب .. وهـو يجىء فى آخر الزمان ويتبعـه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقى ويقتله .

والمجىء الثـانـى للمسيح وردت بـه إشـاردات فى القـرآن والكثير من المسلمين يؤمنون به .

ولا شك أن نـزول المسيح بشخصه وشهـاداته على الملأ بمن هـو ومن يكون .. هل هو ابن الله أو عبد الله ، وبحقيقة ما حدث فى شبهة الصلب وبمن

كان لـه ختم النبوة ومـا شريعته التى يأمـر بها « وجميع الأنبياء فى قـرآننا مسلمـون من آدم ونوح وإدريس إلى مـوسى وعيسى ومحمـد .. وجميعهم على عقيدة لا إله إلا الله ودينهم التوحيد المطلق »

أقول إن شهـادة المسيح بشخصه لمحمد عليه الصـلاة والسلام ربما تكون هى المشار إليها فى إظهار الدين بـالكلية والشمولية والعمومية التى تقطع الحجـة وتنهى الشك وتحسم القضية فى الآيـة التى بدأت بها الكـلام والله اعلم .. وقد تكـون المواجهة مشهديـة عل يمستوى جيـوش تأتى فيها النصرة بشكل بـاهـر يتحـدى جميع التـوقعـات ويلجم الألسن .. والكيف والمتى عند الله هو وحده العالم بهما .. ولكـن النصرة قادمة وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقية قرآنية لاشك فيها .

ولا أحب أن أحملكم على جناح الغيب وأتوه بكم فى الظنون بينما الحرب معلنة علينـا فى الواقع والأعداء يحتشدون لنـا ويتكاثرون علينا ويـزرعون الشوك والألغام والموت فى طريقنا . وأقـول نفتح عيوننا على الواقع أفضل .. ونستعد بكل مـا نملك لنخوض هـذه اسنوات العجـاف ، وتعقد عهـد أخاء ومحبـة نصارى ومسلمين بـأن نحارب معـا كل من يمس شبرا واحـدا من أرض مصر ، وكل من يتعدى على قطرة من نيلها .. ويكون هذا ميثاق الوقت الذى نعاهد الله عليه .. والله معنا ما دمنا يدا واحدة .

●●●

ويسألـوننى لماذا كل هـذه الثقـة بانتصـار الإسـلام رغم تخلف أهلـه وانقاسمهم وفقـرهم ومهانتهم وجهلهـم ، ورغم أنهم بلا سيف وبـلا قوة وبلا سند ورغم كل هذا الظلام المطبق الذى لا يبدو فيه خيط نور .. فأقول لهم : نعم .. سيف الإسـلام الآن مكسور وأهلـه متخلفـون وجهلة وفقـراء ومنقسمـون ، ولكنه مع ذلك يـا أخـوة ورغم ذلك ينتصر الإسلام ويغـزو القلـوب وينتشر فى كل بقـاع الأرض بل وفى قلب بـاريس ولنـدن وبـرلين ونيويـورك ، يتقدم كل يـوم أجانب لشيوخ المسـاجد هنـاك ، ويطلبون أن يسلموا ويتعلمـوا أركان الإسلام .. هكـذا ببساطـة .. ونقرأ عن كتب تخرج

مـــــن قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه .. وآخرها كتاب مراد هوفمان السفير الألمانى الذى أسلم واختار عنوان كتابه :

« الإسلام هو الحل البديل » .. ومن قبله جارودى الذى جاء إلى الإسلام من قلعـة الشيوعيـة ، وكتب عشرات النشرات والكتب .. ومن قبله مـوريس بوكـاى وليوبولدفـايس ، وغيرهم وغيرهـم .. وهذه معجزة الإســلام .. فهو يتقـدم وينتصر بقوتـه الذاتيـة ويحدث هذا فى أشـد أحوال المسمين تأخـرا وانحطاطا .

وقد انتصر صــلاح الدين الأيـوبى على الصليبيين وكانـت مصر فى أسوأ أحـوالها . وانتصر قطـز على التتار وكـانت المماليك شراذم تقـاتل بعضـهـا بعضـا.

إن الإســلام له سر ربـانى وله سلطـان فى ذاته وهــذا ما يجعل أعـداءه المسلحين حتى الأسنان يـرتجفون منه رعبـا ويحسبون لـه ألف حساب وقتل المسلمين يـا أخـوة شىء آخـر تمامـا ولا يعنى أبـدا قتل الإســلام .. والمسلمون أكثـرهـم موتى بالفعـل وكل ما يستجد أن مـوتهم يعلن .. وهذا أمـر هـامشى تمامـا ، فمن مـات الإسـلام فى قلبـه لا يـدخل تحت تعـداد المسلمين، أما من يحيـا الإسلام فى قلوبهم فـلا خوف عليهم ولا سبيل لأى سلطان فى الأرض عليهم .

والعـــالم مقبل ولاشك على منعطف خطير من التحـــولات .. ولا أظن أن زيارة بابـا الفاتيكان لأمريكـا كانت لإنشاد التراتيل . فالـرجل سياسى من الـدرجةالأولى وهــو لا يـرى فى سقوط الشيـوعيـة فى روسيا صحــوة لكل الأديـان بل يراهــا صحوة واجبـة لديـن واحد هــو المسيحية الكـاثوليكيـة والرجل مخلص على طـريقته . ومــا جاء الرجل لأمـريكا ليضـع ســلاما بين الأديان بل ليضـع سيفـا ، وأموال الفاتيكان تنفق حاليـا فى تسليح الكروات وكـانت من قبل تنفق فى تسليح كـاثـوليك لبنان فى الحرب الأهليـة ، وهــذه الأخبار ليست من عندى بل رددتها وكالات الأنباء مرارا وتكرارا .

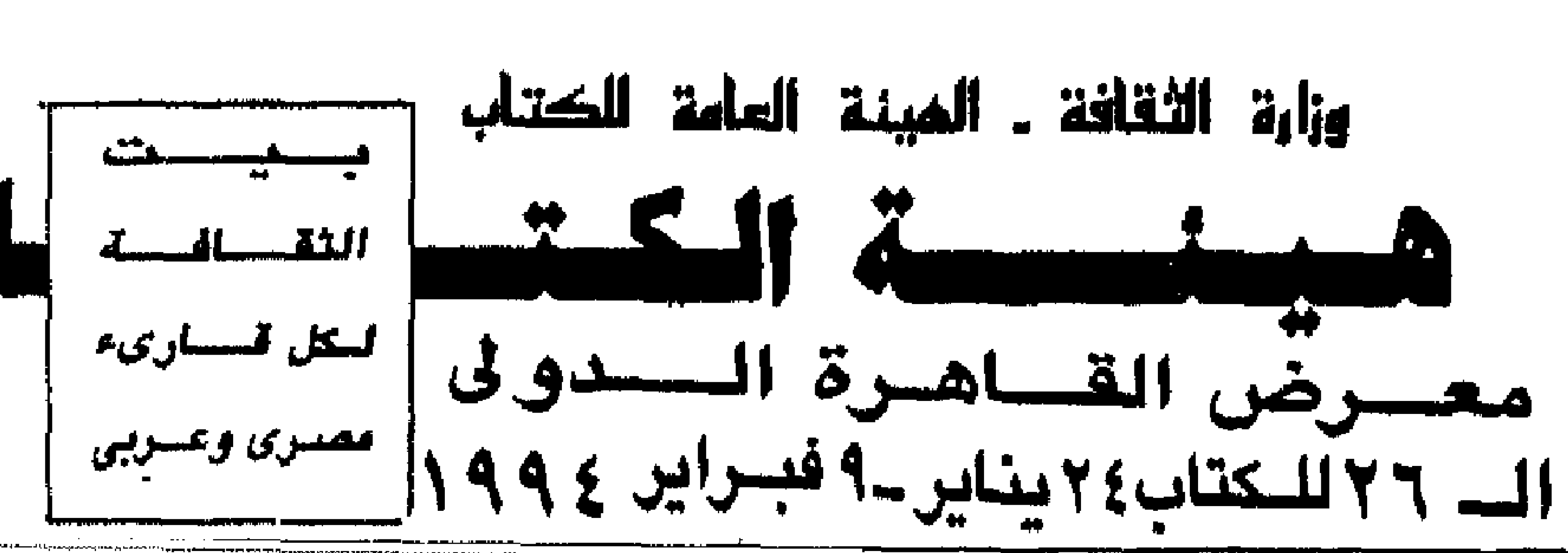
أقول هــذا الكلام لأسـاقفة العلمانيـة فى بلادنـا الذيـن يقولـون نطرح الأديان وراء ظهـرنا ونحل مشاكلنا بأسلـوب علمى لا دينى .. وأقول لهم : أفيقوا من خبالكم .. أننا مقبلون على جهنم .. وادعو الله ألا ينجرف نصارى

مصر فى هذا التيار العنيف المدمر .. وأن تكون مصر فى عيوننا جميعا وأن تكون لوحدة مصر الأولوية عى كل اعتبار ، فمصر فى ذاتها قيمة .. ومصر هى مهبط الرسالات وكعبة التوحيد وهى فى عين الله وفى رعايته وقد ذكرها الله بالاسم وبالإشارة فى قرآنه أكثر من أربع عشرة ، مرة وقد كانت مصر رمزا دائما للتعايش بين الأديان وللتسامح والسلام .. فحافظوا على مصر من أجلكم أنتم ومن أجل القيم التى تدافعون عنها .

محتويات الكتاب

صفحة

رقم الإيداع ٢١٥٥ / ٩٤
I.S.B.N.
977 - 08 - 0211 - 5

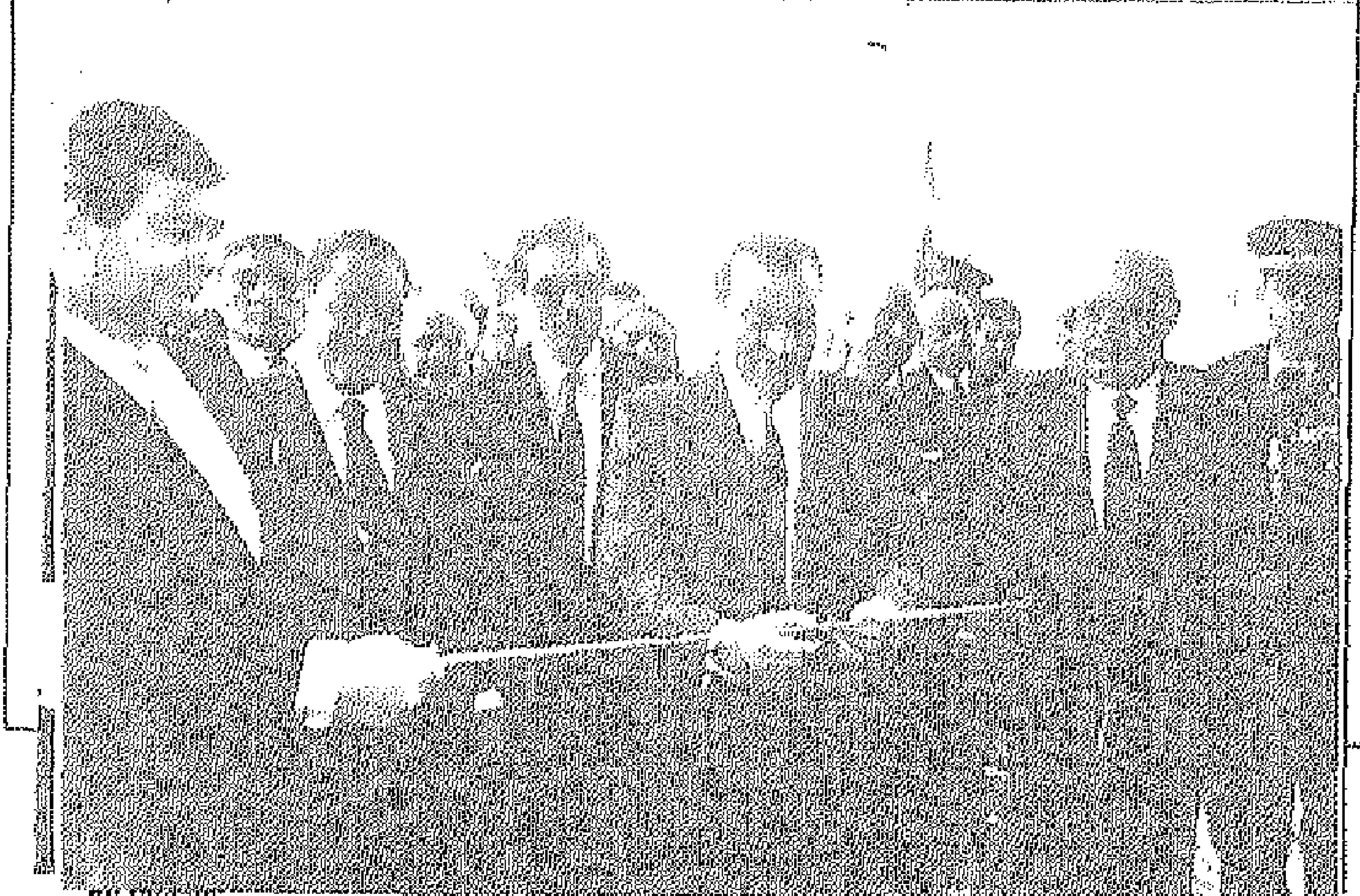


وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة للكتاب

هيئة الكتاب

بيت الثقافة لكل قارىء مصرى وعربى

معرض القاهرة الدولى الـ ٢٦ للكتاب ٢٤ يناير ـ ٩ فبراير ١٩٩٤



عزيزى القارىء

تحية طيبة وبعد

خمسة وعشرون عاما من النجاح المتصل حققها معرض القاهرة الدولى للكتاب والذى يقام فى دورته السادسة والعشرين هذا العام فى الفترة من ٢٤ يناير ـ ٩ فبراير ١٩٩٤ بأرض المعارض الدولية بمدينة نصر ـ القاهرة

يتم فيه تبادل الخبرة والتجربة واتمام الصفقات وعقد الاتفاقيات والتفاوض حول المشروعات المشتركة وشراء حقوق النشر والتأليف مع الناشرين والموزعين وكذلك تقديم وعرض أحسن انتاج من الكتب الجديدة لجماهير رواد المعرض ، مع المصاحب برنامج ثقافى فنى حافل .

عزيزى القارىء ،

اهلا ومرحبا بكم فى معرض القاهرة الدولى السادس والعشرين للكتاب مع خالص تحياتى ..

أ . د . سمير سرحان

رئيس مجلس الادارة



يفتتح المعرض يوم الاثنين الموافق ٢٤ يناير ١٩٩٤ م فى تمام الساعة الحادية عشرة صباحا .

أيام العرض : ٢٤ ـ ٢٦ يناير ١٩٩٤ م . بدعوات خاصة وسوف يتم غلق سرايات البيع فى هذه الايام .

أيام الجمهور : ٢٧ يناير ـ ٩ فبراير ١٩٩٤

المواعيد : يوميا من العاشرة صباحا وحتى السابعة مساء . ارض المعارض الدولية بمدينة نصر . يستمر العمل فى المعرض وسرايات البيع حتى الساعة السابعة مساء يوم ٩ فبراير ١٩٩٤ م .

تسهيلات الجمهور : ١ ـ تم تخصيص اتوبيسات نقل عام من الميادين التالية إلى ارض المعارض مباشرة : ● ميدان التحرير ● ميدان رمسيس ● ميدان العتبة .

٢ ـ خصم ٥٠ ٪ على اجور السفر بالسكك الحديدية لرواد المعرض من الاقاليم .

الدول المشتركة فى المعرض

عربية

— مصر
— الكويت
— سوريا
— قطر
— لبنان
— الأردن
— المغرب
— البحرين
— السودان
— السعودية
— تونس
— عمان
— فلسطين
— الجزائر
— الامارات
— ليبيا
— أبو ظبى
— اليمن

أجنبية

— أمريكا
— انجلترا
— ايطاليا
— هولندا
— سلوفاكيا
— اليونان
— بولندا
— سويسرا
— الدانمارك
— الصين
— باكستان
— سنغافورة
— كينيا
— كوبا
— فرنسا
— بلجيكا
— ايرلاندا
— تشيك
— تركيا
— رومانيا
— السويد
— اليابان
— روسيا
— كوريا
— غانا
— الكميرون
— كندا
— ألمانيا
— أسبانيا
— بلغاريا
— سلوفينيا
— قبرص
— المجر
— النرويج
— نيوزيلاندا
— الهند
— الفلبين
— اندونيسيا

المنظمات

— جامعة الدول العربية
— اليونسكو
— منظمة الصحة الدولية
— هيئة الأمم المتحدة
— منظمة الطفل الدولية
— منظمة العمل الدولية

ولاتزال الفرصة مستمرة

إصدارات هيئة الكتاب ثقافة أكيدة بأسعار زهيدة رئيس مجلس الادارة أ . د سمير سرحان

طبع بمطابع دار أخبار اليوم

الإسلام فى خندق ..
الإرهاب يحاصره عن
شمال ..
والعَلْمانية تضرب فيه من
اليمين ..
وأطماع الغرب الاستعمارى
تهدده من الأمام .
وتخاذل الدول العربية
وتفككها يهدده من الوراء .
والأمية الإسلامية تضرب عليه
خيمة من اليأس .
ما المصير .. ؟
وما المخرج .. ؟
هذا موضوع كتابنا

٣ جنيهات

طبع بمطابع دار أخبار اليوم